ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1039 - الجمعة 27 شعبان 1424 هـ - الموافق 24 أكتوبر 2003

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

الاستثناء في كلمة الشهادة

مسؤولية الآباء في التوجيه الإيماني للأبناء

الدين: إيمان وإسلام وإحسان

في الحديث السابق من هذه القراءة المخصوصة للإيمان والإسلام والإحسان انطلاقا من الآية الكريمة: "والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان".

وتثبيتا للموضوع بالتفصيل مع حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه عنه ابنه عبد الله وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه إلى جانب الإمام البخاري ورواه آخرون من أهل الكتب الصحاح نتابع إرواء العطش الإيماني بالوقوف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيدنا جبريل عليه السلام يسأله عن الدين بمكوناته الاعتقادية والقولية والفعلية.

الرسول عليه الصلاة والسلام في جوابه للسائل بين له أن الإسلام أركانه خمسة ، الشهادة بالوحدانية لله عز وجل وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت عند الاستطاعة أما الإيمان فيقوم على ستة أشياء الإيمان بالله لعبادته وحده، وبملائكته الذين يبلغون عن الله، وبكتبه التي تنزل كوحي من الله، ورسله الذين يكلفهم الله عز وجل بتبليغ شريعته إلى الناس، وباليوم الآخر، يعني أن الناس سيقفون بين يدي الله عز وجل بعد الموت للحساب، وبالقدر خيره وشره ، بمعنى أن الله تعالى علم مقادير الأشياء، وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ماسبق في علمه أنه يوجد فعلى المسلم أن يعلم أن كل ماصدر في الحياة هو عن علم الله وقدرته وإرادته، ثم وصل السائل إلى منطقة مخصوصة كان يريد أن يعلم الناس موقعها في الدين وهي مرتبة الإحسان، فقال السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرني عن الإحسان، فكان جواب الرسول عليه الصلاة والسلام واضحا تشرق من كلماته الأنوار الربانية، وترفع المومن العابد إلى درجات سامية من المقامات المخصوصة للمومنين المتقين المخلصين ويتم ذلك عند الوصول إلى مرتبة الخشوع القلبي وارتباط الفؤاد بمن يقف بين يديه مع القراءة والدعاء في الوقوف والركوع والسجود عندما تكون جبهة الإنسان مرتبطة بالأرض تاركة وراءها الدنيا كلها، وكأن المومن لم يبق له أي شيء إلا من هو بين يديه الله عز وجل.

ترى كل هذه المعاني في جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود.

وقد تضمن الجواب في هذا الموضوع حالتين: أرفعهما أن يغلب على العابد مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينيه، والثانية أن يستحضر أن الحق عز وجل مطلع عليه يرى كل مايعمل، والوصول إلى الحالتين يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد كان السائل بعد الجواب على كل سؤال من الأسئلة الثلاثة عن الإسلام والإيمان والإحسان يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله "صدقت" وتعجب الصحابة الذين يسمعون الحوار من تصديق السائل عن شؤون الدين، فهو يسأل، وبعد سماع الجواب يرد بأن الجواب صحيح وهو عين الصدق، والمفروض أن الذي يجلس ليتعلم ويشرع في السؤال أنه لايعرف الجواب، ولكن السائل في درسنا يسأل ويعطي موافقته على الجواب فيبين للحاضرين أنه يعلم صدق الرسول في جوابه، فلما ذا يسأل العالم غيره، وهو يعلم الجواب.

إذا رجعنا إلى الزمان والمكان وأسماء الحاضرين في درس رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن تستنتج مايلي:

1- أن الظرف الزمني كان يفرض على المسلمين أن يعرفوا شؤون دينهم الجديد والرسول صلى الله عليه وسلم بينهم، ويرفعوا عن أنفسهم حالة الجهل ببعض الأمور الضرورية في الحياة الدينية، ويتصوروا أن الدين اعتقاد وقول باللسان وعمل بالجوارح واندماج مع الله في العبادة حتى كأنك تراه.

2- أن العالم يمكنه أن يثير موضوعا للحوار مع عالم مثله ليستفيد الحاضرون الذين لايعلمون شيئا مما عرض للحوار.

3- أن المستمع لنصيحة دينية أو لموضوع إسلامي ثقافي يهم المسلمين عليه أن يقوم بالتبليغ لغيره ممن لايعلم ماسمعه في أمور الدين، فالصحابة الذين سمعوا الحوار بين السائل والمجيب بلغوا خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس، فرواه عنهم جمع كبير من المسلمين وتم تسجيله كتابة في مؤلفات الحديث حتى يطلع عليه الغائب والبعيد.

ليعمل به أولا ويبلغه لغيره ثانيا. وآخر سؤال كان في الحوار يتعلق بالساعة وانتهاء الدنيا، والانتقال إلى يوم الحساب، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم، في جوابه كان واضحا: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وأن هذا الأمر بقي من خصوصيات علم الله عز وجل، وقرأ قوله تعالى: "ان الله عنده علم الساعة" ولكنه تحدث عن العلامات التي تدل على قرب وقوعها وذكر بعضها: أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، وذلك مظهر من مظاهر الانفلات الاجتماعي للأمة، عندما يصبح المحكومون حكاما وقادة دون حق أو شريعة ونتابع الحديث في العدد المقبل إن شاء الله.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تهنئة رابطة علماء المغرب لأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله بمناسبة شهر رمضان المعظم

يسعد رابطة علماء المغرب وأسرة تحرير صحيفتها "ميثاق الرابطة" ومجلتها "الإحياء" بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك أن تتقدم بتهانيها إلى حضرة أمير المؤمنين راعي العلم والعلماء جلالة الملك محمد السادس أعزه الله ونصره، داعية لجلالته بدوام العز والنصر والتأييد، حتى يحقق لشعبه كل ما يطمح إليه، من تقدم وسعادة وازدهار، تحت راية القرآن الكريم، وفي ظل العرش العلوي الشريف، سائلة الله سبحانه وتعالى، أن يحفظه في ولي عهده، الأمير الجليل مولاي الحسن، ويشد أزره بشقيقه صاحب السمو مولاي رشيد، وكافة أفراد الأسرة الملكية، كما تبارك بالمناسبة للشعب المغربي والأمة الإسلامية جمعاء، راجية من الله أن يعز الإسلام بنصره، ويوحد كلمة المسلمين، ويحرر القدس الشريف، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

نحن أمة الإسلام أمة سلم ورحمة ونشر محبة وإخاء، ديننا يحرم الاعتداء على الغير ويؤتي كل ذي حق حقه بكل عدل وإنصاف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)، فالإيمان الصادق يحصن صاحبه من الظلم والإرهاب ويمنعه من هضم الحقوق.

قصدي بالإشارة إلى عدالة الإسلام وإنسانيته وبعده من التطرف والتحجر وانصهاره المطلق مع العدل والمشروعية بمعنى الكلمة هو أن يتفهم الآخرون سواء من ينسب نفسه لديننا الإسلامي وهو بسلوكه المتطرف يسيء إلى الإسلام، أو من ينعته من أعدائه بما هو بعيد عنه بعد السماء من الأرض، أقول قصدي بالإشارة إلى عدالة الإسلام أن يفهم الكل أن ديننا هو دين الفطرة والرحمة والمساواة، يخدم مصلحة الفرد والجماعة ويهدي للتي هي أقوم، وتنشر رسالته الربانية الدفاع عن حقوق الإنسان في جميع أطوار حياته ومراحل سنه سواء كان رجلا أو امرأة، ولا ينكر ما ألمحت إلى ذكره في حقيقة رسالة الإسلام الإنسانية إلا من يجهل الإسلام شكلا وجوهرا ... ومن درس حكمة فرضية صوم رمضان وما استنتج منها العلماء المسلمون وغيرهم من أهداف هذا الصوم الروحية والبدنية يعلم أن رسالة الإسلام جاءت لإصلاح البشرية ونشر الفضيلة وإذكاء روح التكافل الاجتماعي بين أفراد الكائن البشري، لقد أذهل كل منصف يرعى العدل ويحب المشرعية ويتمنى للإنسانية كل خير ما يواجه به الإسلام وأمة الإسلام من مضايقات استهدفت المسلمين في كل مكان، فلنتحلى بضبط النفس ونشر الفضيلة، ففي إقبالنا على تأدية شعائرنا الدينية بأدب وخشوع وحسن سلوك أكبر رسالة إيضاحية لمن ينتهك حرمات الإسلام كي لا يبقى سائرا في نعته للإسلام بما لا يليق بمقام ديننا الإنساني الرحماني، وهاهي المملكة المغربية تستعد كعادتها لشهر رمضان المعظم بما يستحق ظرفه الزمني من صيام وقيام وإقبال على عبادة الله على الوجه المطلوب، وفي هذا الشهر المبارك يولي أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أكبر عناية لكل فصائل أمته وخاصة المستضعفين منها ليستقبل الكل صوم هذا

الاستعداد لشهر رمضان 2/2

الشهر براحة بال مكفول المؤونة فلا يحس فقير ولا ضعيف بعجزه عن تأدية صيام شهر رمضان، فتعمم حاجيات الفقير والضعيف من الإفطار في جميع أنحاء المملكة، ناهيك بانتشار الوعظ والإرشاد والأحاديث الدينية في كل مكان من أمكنة هذا الوطن العزيز في المساجد والأندية والثكنات ومقار الجمعيات والمدارس العصرية منها والعتيقة وفي جميع المؤسسات الخاصة والعامة، كما تبث الأحاديث الدينية بواسطة الإذاعات سواء منها ما كان وطنيا أو جهويا ويتوج هذا العمل الديني الرائد بترأس أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره الدروس الحسنية التي يتبارى العلماء فيها بإلقاء دروس أمام جلالة الملك بقصره العامر تبث في توها بواسطة الأقمار الاصطناعية وبجميع وسائل الإعلام كما تترجم لجميع اللغات حتى تعم الفائدة.

هذا الاستعداد الرائع الذي نعيشه في المملكة المغربية لاستقبال هذا الشهر المبارك يثلج صدر المؤمن ويحفزه على العناية بدينه.

فعلينا معشر الإسلام أن نستقبل هذا الشهر المبارك بما كان يوليه له عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام وسلفنا الصالح اقتداء به صلى الله عليه وسلم من مجاهدة للنفس وعبادة لله بشتى أنواع العبادات: من صلاة، وصوم، وقيام لليل، وتلاوة للقرآن، ومساعدة للضعيف، وكف لجميع الجوارح وأن لا ننسى درجات الصيام التي أومأت إليها في هذه الكلمة وأن يكون عملنا خاليا من الرياء والسمعة راجين غفرانه وستران العيوب كما نرجو أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم. فنبتهل لله جلت قدرته أن يعيد هذا الشهر المبارك على أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس وهو يرفل في ثوب العز والنصر والتمكين مقرور العين بولي عهده المحبوب سمو الأمير مولاي الحسن وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد الأسرة الملكية الشريفة وبشعبه المغربي إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

كما نرجوه تبارك وتعالى أن يقيل عثرات المسلمين، وأن يدفع عن المجتمع الإسلامي كل بلاء ومكروه، وأن يشمله بألطافه الخفية، ويزرع المحبة والألفة بين جميع أفراد قاداته وشعوبه، وأن يأخذ بيده إلى سبيل النجاة كما نرجوه أن تعم الرحمة والألفة والمحبة والسلم والسلام أفراد جميع الإنسانية بصفة عامة وأن يسود الكل العدل والمشروعية والود الخالص والوئام الصادق فيما يرضي الله ورسوله.

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الرحلة الحجازية وأبعادها العلمية والحضارية

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

في الحلقة الماضية نقلنا فقرات من رحلة ابن رشيد السبتي تدل على تأثره الشديد، وعلى شفافية روحه، وتأجج وجدانه، وقد أقبل على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، بقصد الصلاة في مسجده الشريف، وزيارة ضريحه الكريم، ثم زيارة بعض قبور أصحابه بالبقيع رضي الله عنهم...

وفي هذه الحلقة نتعرض لذكر من لقيهم من العلماء بالمدينة المنورة سنة:685هـ.

وأشرت سابقا إلى أن هدف ابن رشيد من رحلته زيادة على أداء فريضة الحج، تكثير الشيوخ بالأخذ عنهم، والحديث إليهم، وقراءة كتبهم، ومعرفة محتواها، ومضامنها والحوار معهم فيما أشكل عليه أو أثار انتباهه، أو توضيح ما في فهمه خلاف بين العلماء...

وابن رشيد يعتبر بحق خير من يمثل الرحلة العلمية الحجازية أصدق تمثيل، والنموذج الفريد للرغبة الجامحة في البحث عن المعرفة، وخير من تحمل أعباء ومشاق الرحلة في سبيل ذلك، بشوق وتلذذ، فلذة العمل عند ابن رشيد تفوق كل لذة، ويهون في سبيل الحصول عليها كل صعب وعسير، فالرجل لايشتكي من حر، ولا قر، ولاجوع ولا عطش، ولا من تعب طول الطريق، بل يلاحظ القارئ لرحلته أنه منبسط مسرور، شديد النهم لالتقاط كل مايسمع، يدون ويسجل دون كلل ولا ملل كل مايتعلق بالرواية، والدراية، وبمسائل الفقه وطرائف الأدب.. فهمة ابن رشيد من الهمم العالية الدراكة، ولو تعلق الأمر بالثريا لكان هينا بالنسبة له، إنه نموذج عجيب من بين من كتبوا، وسجلوا، ودونوا رحلاتهم الحجازية.

وسنرى فيما بعد أن كثيرا من الرحلات الحجازية كان هدفها علميا بالدرجة الأولى، كرحلة القاسم التجيبي السبتي المعاصر لابن رشيد، والعبدري، والعياشي، والناصري، اليوسي والاسحاقي، والشيخ ماء العينين وغيرهم...

وبعد هذا التقديم نفسح المجال لحديث ابن رشيد عن لقائه بشيوخ العلم بالمدينة المنورة، حيث يقول: "ذكر من لقيناه بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم من العلماء، والرواة، فمنهم الشيخة الصالحة الكاتبة أم الخير ، أم محمد، فاطمة بنت ابراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي، المعروف بالبطائحي، رضي الله عنها، قدمت في ركب الشام، زائرة وحاجة، لقيتها بمسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقرئ عليها وهي مستندة إلى جانب رواق الروضة الكريمة، المحمدية على ساكنها السلام، تجاه رأس المصطفى الكريم، وكتبت لي خطها، بالإجازة هنالك، في جميع مروياتها، ولبني أبي القاسم، وعائشة أمة الله، ولاخواتي، ولمن تسمى معنا في الإجازة، وبمحضر من ابنها، واسمه في غالب ظني محمد، وكانت تسدل جلبابها على وجهها حياء وصونا، رضي الله عنها، قرأت على الشيخة الصالحة أم الخير أم امحمد فاطمة بنت ابراهيم البطائحي، تجاه راس المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، بين قبره ومنبره، في الرابع والعشرين لذي قعدة، قلت: أخبرك رضي الله عنك. الحسين بن المبارك بن محمد الزبيدي بسماعك عليه، فأشارت أن نعم، قال: أخبرنا شيخ الوقت أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الصوفي، قراءة عليه ونحن نسمع، قال: أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي البوشنجي، قراءة عليه وأنا أسمع، ببوشنج، قال: أنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي قراءة عليه، قال: أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريري قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي مولاهم، قال: أنا مسدد عن يحيى عن عبيد الله بن عمر، قال: حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"

فابن جبير العلامة المجد الذي يرغب في معرفة الأسانيد، وتكثير الشيوخ يغتنم فرصة وجود الشيخة الفاضلة المحدثة العالمة فاطمة بنت إبراهيم البطائحي بالمدينة المنورة، فيسعى إليها ويقابلها، ويقرأ عليها في الروضة الشريفة بين قبره ومنبره صلى الله عليه وسلم، في اليوم الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 685هـ، ويسألها عن سندها عن حديث حول موضع لقائهما، فتطلعه على سندها المتصل للحديث، وبذلك يزداد معرفة بطرقه وأسانيده.

وهذا الحديث تناوله ابن حجر فيما بعد، وأتى بأسانيده في فتح الباري.

وهكذا نرى أن ابن رشيد بحرصه الشديد على معرفة الأسانيد لايترك أية فرصة تضيع منه، وهذا دأبه في كل مكان حل به.

ثم يقول: "ومما قرئ عليها وأنا أسمع بالروضة المحمدية تجاه رأس المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، جميع الجزء المعروف بجزء أبي الجهم، العلاء بن موسى الباهلي رحمه الله، بسماعها من أبي لزبيدي لجميعه، بسماعه من أبي الوقت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

ويستمر ابن رشيد في الاستفادة من هذه الشيخة، ويسجل أسانيدها لمجموعة من الأحاديث، منها: "لايدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار" وحديث:" إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا، والبيت العتيق" وحديث ميمونة: "إن امرأة اشتكت شكوى فنذرت لئن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرئت وصحت، وظهرت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تسلم عليها، فأخبرتها بذلك، فقالت: انطلقي فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة".

يقول ابن رشيد كذا سمعنا هذا الحديث . أي حديث ميمونة . على فاطمة ، عن نافع، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس أنه قال: (إن امرأة) وكذا رأيته في الأصل المسموع على ابن أبي مسعود الفارسي، وفي غيره من الأصول، ولعله سقط فيه: (عن ابن عباس) والحديث عند مسلم بن الحجاج رحمه الله عن قتيبة بن سعيد، ومحمد بن رمح، عن الليث عن نافع، عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد، عن ابن عباس أنه قال: وذكر الحديث، وفي اللفظ اختلاف يسير".

فابن رشيد الذي يتلقى عن الشيخة الشامية بالمدينة المنورة بأدب جم، واحترام فائق، يعرف الأحاديث التي يتلقاها، وقد قراها في أصولها، أوسمعها من شيوخ آخرين، ولذلك فهو يستفيد، وفي نفس الوقت يعلق ويقارن ليفيد قارئ رحلته، ويطلعه على تحقيقاته، وهكذا كان شأن جل علماء المغرب يستفيدون ويفيدون، ويتصلون بالشيوخ ولهم رصيد وافر من العلم والمعرفة.

وعن ابراهيم بن عبد الله بن معبد الوارد في سند الحديث يقول ابن رشيد: "ابراهيم هذا هو ابن عبد الله بن معبد بن عباس بن عبد المطلب، أخرج له مسلم دون البخاري، يروى عن أبيه عبد الله، وذكر محمد بن طاهر المقدسي في كتابه الذي جمع فيه رجال الصحيحين: أن إبراهيم هذا يروي عن ميمونة عند مسلم ولم يعين الموضع، فما أدري أعنى هذا الموضع أم غيره؟ فزد فيه بحثا".

لله درك يابن رشيد، بعدما حققت، ودققت تطلب من القارئ لرحلتك أن يزيد في البحث ليتأكد هل ابن طاهر المقدسي عندما ذكر أن ابراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس من رجال الصحيحين عند مسلم، هل يقصد ابن طاهر بذلك ورود اسمه في حديث ميمونة السالف الذكر، أم فيه و في غيره؟؟ ولذا يشجع ابن رشيد القارئ على المزيد من البحث في الموضوع، لأن المنهجية العلمية عند رجال الحديث تقتضي ذلك!!

لم تكن في ذلك العهد فهارس يعود إليها الباحث بسرعة كما هي موجودة الآن، وإلا لما طرح هذا السؤال؟

وتقول الفهارس: إن حديث ميمونة هذا ذكره مسلم في كتاب الحج، في باب : "فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة" وفي سنده جاء ذكر: ابراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس في الحديث فقط.وبعد لقاء ابن رشيدبالشيخة فاطمة، وذكر ما قرئ عليها من الأحاديث، وهي تسمع، يقول: "وممن لقيناه بطيبة زادها الله طيبا الشيخان الفاضلان: الشيخ الامام العالم بقية السلف، مفتي المسلمين، عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن راض العلثي، شهر بابن الزجاج البغدادي، وابن أخيه الشيخ الجليل أبو القاسم عبد الحميد بن أحمد بن محمد المذكور، وهما المتقدم ذكرهما بوادي الأزرق، ثم بتبوك، فمما قرئ عليهما وأنا أسمع عند علامة حد الجدار الجو في الأصلي قبل الزيادة من مسجد المصطفى صلوات الله عليه، وسلامه مع الانفاس مهدي إليك، وذلك في عشي يوم الاثنين الرابع والعشرين لذي قعدة، وفصلت صلاة المغرب ثم اتصلت القراءة إلى قريب العشاء الأخرة من الليلة المسفر صباحها عن الخامس والعشرين، ونحن نشاهد الروضة الكريمة، وكان مجلسا مباركا كريما، نرجو به من الله فضلا عظيما وثوابا جسيما، كثر فيه بترداد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لتردد ذكره الكريم في القصيد المقروء مرة في كل بيت منه، أو مرات، لالتزام قائله تكرار اسمه المشرف المكرم، في كل قافية من القصيد على طوله، ولسان حالي ينشد ماقلته من قصيد:

أعد أحاديث أحبائي علي فما
يمل سمعي منه بالإعادات

أسعد بها من ليلة تحليت من تجلي أنوارها بأشرف حلية، وانتظمت في سلك الوافدين العلية، وحللت أكرم منزل، وضفت أفضل مرسل، راجيا كريم القرى، داعيا بتمام النعمة ببلوغ أم القرى، اللهم كما أفضت علينا نعمك، وأحللتنا حرم نبيك عليه الصلاة والسلام، فأحللنا حرمك، وأفض دائما علينا كرمك، إنك المنعم الكريم، الغفور الرحيم".

فابن رشيد لم يكن وصل بعد إلى مكة المكرمة، والملاحظ أن ابن رشيد كان في الصباح في حلقة الشيخة فاطمة، وفي المساء في حلقة الشيخ أبي محمد عفيف الدين ابن الزجاج البغدادي، قرب الروضة الشريفة، جلستان طويلتان ممتعتان مفيدتان...

أما القصيدة التي ذكر ابن رشيد أنه كلما ذكر بيت منها تعالت الأصوات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أثبتها بالسند المتصل إلى قائلها الشيخ أبي عبد الرحمن السحامي رحمه الله. ومنها هذه الأبيات:

لأصلين على النبي محمد
أبدا كما يرضى، وآل محمد
خير البرية أجمعين محمد
والآل خير آل محمد
خير الصحابة في الورى أصحابه
وأعز بيت أهل بيت محمد
خير النساء بناته، ونساؤه
حق الجميع مؤكد بمحمد
خير البريا أمة من بعدهم
مرحومة قد آمنت بمحمد

وبعد ذلك يقول:

"قد قال حسان وقولي قوله
في مدح خيرالعالمين محمد
ما أن مدحت محمدا بمقالتي
لكن مدحت مقالتي بمحمد

ويعتذر صاحب القصيدة عن التكرار فيقول:

أكثرت تكراري لذكر محمد
حبا له، فخرا بحب محمد
حب هو الإيمان إيثار على
حب الورى والنفيس حب محمد
جعل الإله صلاته وسلامه
حقا توجه للنبي محمد
وبذلك قد أمر الورى ليثيبهم
عشرا بواحدة إله محمد
لايقبل الله الصلاة من امرئ
مالم يصل على النبي محمد
حجب الدعاء عن السماء إذا علا
دون الصلاة على النبي محمد
أو ما عليه سلام مكة سلمت
وتنكست أصنامها لمحمد
أوفوا الصلاة عليه ثمت سلموا
حتى تروا رضوان رب محمد
يارب أكرمنا وأكرم نزلنا
واغفر لنا وارحم بحق محمد
يارب واخصص بالكرامة عبدك الر
اجي لفضلك طاهر بن محمد

يقول ابن رشيد: وبهذا البيت ختم القصيدة.

والشيخ السحامي صاحب القصيدة هو الفقيه الصالح المحدث العارف طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد المستلمي.

والقصيدة تلقاها ابن رشيد عن شيخه عفيف الدين بن الزجاج البغدادي بالمسجد النبوي ، كما سبق ذكر ذلك.

والى الحلقة القادمة بحول الله
(×) سلام مكة:
أحجارها وجبالها

الاستثناء في كلمة الشهادة

للشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز السجلماسي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

الحمد لله وصلاته وسلامه على رسول الله وآله وصحبه ومن تلاه، وبعد:

فقد سئلت عن الاستثناء في كلمة الشهادة أهو متصل أم منفصل أم قابل للأمرين باعتبارين أم خارج عن الاحتمالين لما يرد من المحذور على كلا الوجهين أم محتمل لأربعة أوجه صالح لصادقية كل منها عليه كما طرق ذلك الشيخ يحيى الشاوي في حواشي شرح الصغرى وبين وجه كل منها واستحسنه فأجبت والله تعالى أستعين.

■ إن الاستثناء في الكلمة المشرفة متصل لا غير، وأن ما سوى الاتصال من الاحتمالات باطل، ومنشأ الوهم في القول بها، إما جهل معنى المتصل والمنفصل وإما جهل معنى الكلي، وبتحقيق معنى المتصل والمنفصل وتحقيق معنى الكلي، وأن مفهوم الإله كلي تتضح إن شاء الله حقية ما ذكرته، فلابد من تمهيد المقدمتين، أما الأولى فهي أن الاستثناء محور في قسمي المتصل والمنفصل لا منها البتة، وهما متباينان تباينا كليا لا يجتمعان البتة كما هو واضح من كلام النحويين وغيرهم.

■■■■■

قال الإمام أبو عمر وابن الحاجب المستثنى متصل ومنقطع، فالمتصل المخرج من متعدد لفظا أو تقديرا بإلا أو إحدى أخواتها، والمنقطع المذكور بعدها غير مخرج، انتهى.

■■■■■

وقال الإمام أبو عبد الله بن ملك في التسهيل بعد تعريف المستثنى بما يشمل النوعين ما نصه: فإن كان بعض المستثنى منه حقيقة فمتصل، وإلا فمنقطع، انتهى.

■■■■■

فقد لاح من هذين النصين أن بين الاتصال والانفصال وهو المعبر عنه بالانقطاع، تقابل الشيء والمساوي لنقيضه، يجتمعان في الاستثناء ولا يرتفعان، أما على تعريف ابن الحاجب، فإن محصوله أن المذكور بعد الأداة إما مخرج أو ليس مخرجا، وأما على مفاد التسهيل فإن الواقع بعدها اما بعض المستثنى منه أو ليس بعضه، فالقسمة على كليهما دائرة بين النفي والإثبات فالقسمان لا يجتمعان ولا يرتفعان ضرورة.

ثم إذا علمت أن الاستثناء منحصر في القسمين، وأن كليهما مباين لصاحبه كما هو الشأن في القسمين .

■■■■■

فاعلم أنه لابد في تحقيق الاتصال من أمرين أحدهما: كون المستثنى بعضا من المستثنى منه كما في عبارة التسهيل، والثاني: كون المستثنى مخرجا من المستثنى منه باعتبار ما نسب إلى المستثنى منه كما في عبارة الحاجبية سواء كانت النسبة إسنادية أو غيرها وأنه لابد في تحقق الانفصال من انتفاء الأمرين أو أحدهما كما تقتضي المقابلة المذكورة بين القسمين، مثال المتصل في الإيجاب، "فشربوا منه إلا قليلا منهم".

■■■■■

ومثاله في السلب: ما فعلوه قليل منهم، هذا في النسبة الإسنادية ومثاله في الإيقاعية أعني نسبة الفعل إلى المفعول، قال: "فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين"، ومثاله في الانشا: "فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك" وهي صالحة للإسنادية على قراءتي الرفع والنصب، فالأول على القراءتين مثلا، والثاني على الثانية فقط، ومثال المنفصل الذي تخلف فيه الأمران: "فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون"، فإن الذين آمنوا ليسوا بعضا من مصدوق الضمير الواقع عليه الفعل إذ هو عائد على الذين كفروا المتقدم ذكرهم، وإن الذين آمنوا ليسوا بداخلين في ذلك الوعيد فيخرجوا منه، وإنما الاستثناء استدراك لبيان ما للمومنين عند الله تعالى من عظيم الأجر الدائم على ما أفاده التنكير والوصف على عادة التنزيل في شفع التحذير بالتبشير والعكس.

وهكذا كل استثناء منقطع إنما هو استدراك، ولهذا يقدره البصريون بلكن، وصرح غير واحد من الأصوليين والبيانيين.

■■■■■

أن استعمال الأداة في مجازي ونص الأصوليين على أنه ليس من المخصصات للعام، ولا خلاف بينهم في ذلك، والخلاف المحكي في جمع الجوامع ليس في كونه مخصصا بل في أمر آخر، وإنما نبهت عليه مع وضوحه لتوهم بعض الناس أن الخلاف في كونه مخصصا.

ومثال المنفصل الذي انتفى فيه الإخراج دون البعضية "ليلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم"، كما اقتصر عليه أبو البقاء، فإن الذين ظلموا بعض من الناس، لكن لم يخرجوا منهم باعتبار الحكم المذكور وهو نفس كون الحجة على المخاطبين إذ لا حجة لأحد ما عليهم، لكن الظالمين لعنادهم يجادلون بلا حجة، ومن جعل الحجة في الآية بمعنى الكلام المحتج فيه وإن كان باطلا جعل الاستثناء فيها متصلا، ومن المنتفى فيه الإخراج فقط "لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى"، لأن الموتة الأولى بعض ما يصدق عليه مفهوم الموت لكنه ليس مخرجا منه باعتبار الحكم المذكور وهو نفي الذوق في الجنة كما هو ظاهر، ومن المنفصل "ما لهم به من علم إلا اتباع الظن" فإن اتباع الظن ليس بعضا من العلم سواء حمل على اليقين أم على ما يشمل الظن، لأن اتباع الظن غير الظن، خلافا لمن جوز فيه الاتصال إذ البعضية فيه منتفية لا محالة.

■■■■■

وأما الإخراج فهو موجود فيه لو كان المراد مجرد الإخراج لكن المراد الإخراج من العام المذكور أو المقدر قيل الأداة الأولى في التام، والثاني في المفرغ ولاريب أن انتفاء البعضية ملزوما لانتفاء الإخراج من العام، لأن المستثنى متى لم يكن بعضا من العام لم يكن داخلا فيه، ومتى لم يكن داخلا فيه لم يكن مخرجا منه لوضوح كون الإخراج فرع الدخول، ولهذا لم نمثل لما تخلفت فيه البعضية دون الإخراج.

■■■■■

وبهذا تعلم أن تعريف ابن الحاجب أشد من تعريف ابن مالك، لأن الإخراج يستلزم البعضية وهي لا تستلزمه، ولا يرد على طرد تعريف ابن الحاجب للمنفصل دخول الواقع بعد إلا التي بمعنى غير نحو: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"، ونحو مثال سيبويه: لو كان معنا رجل إلا زيد لغلبنا، لأن الضمير في قوله بعدها عائد إلى المذكورة في تعريف المتصل وهي الحرفية التي يقع الإخراج بها وإلا التي بمعنى غير اسم موصوف به ظهر إعرابه في تاليه ليس من الإخراج ولا من الاستثناء في شيء، ولذا لا يرد ما بعدها على الحصر المذكور، ونعلم أيضا أن تعريف المنفصل بأن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه فاسد العكس لخروج نحو ما فيها إنسان إلا فرسا، فإن أجيب بأنه أريد بالجنس ما يشمل النوع أورد عليه خروج نحو: ما قال هذا عربي إلا عجميا، فإن أجيب بإرادة ما يشمل العنف أورد عليه خروج نحو ما جاء أبوك إلا أخاك، وما جاء الزيدون إلا إخوانهم، ويرد أيضا خروج نحو: إلا الذين ظلموا منهم على ما هو الظاهر فيه من الانفعال وإن قيل بغيره كما مرت الإشارة اليه، وتعلم أيضا أن تعريف المتصل بأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه فاسد الطرد لدخول ما خرج من الأول، ويجاب بأن المراد بالجنس في التعريفين معا معنى شاملا للمستثنى ولبقية المستثنى منه وذلك بأن يكون المستثنى في المتصل داخلا في عنوان المستثنى منه دخول الجزئي تحت كلي، أو الجزء تحت كله، وهذا غير المراد بالبعضية وحينئذ لا يرد على التعريفين إلا ما أشير إلى وروده على صاحب التسهيل.

في ظلال الحديث

الحديث الثمانون: كيف تستقبل رمضان؟

خص الحديث:

عن أبي هريرة قال قال: رسول الله (ﷺ): "آتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم" رواه النسائي.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا حديث صحيح، أخرجه النسائي في الصيام4/129، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة بهذا اللفظ، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب 98/2 إلى النسائي والبيهقي، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وصححه، وأورده الألباني في صحيح الجامع رقم 55، وفي صحيح الترغيب والترهيب1/490، وقال : حديث صحيح.

سند الحديث

هذا الحديث رواه النسائي في السنن فقال: أخبرنا بشر بن هلال قال حدثنا عبد الوارث عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة قال: وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

بشر بن هلال: هو أبو محمد بشر بن هلال الصواف النميري البصري، من كبار تبع الأتباع، روى عنه الجماعة سوى البخاري، قال أبو حاتم محله الصدق وكان أيقظ من بشر بن معاذ وقال النسائي ثقة وذكره أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات. مات سنة 247هـ.

عبد الوارث: هو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم التنوري البصري، روى له الجماعة، قال أبو زرعة ثقة وقال أبو حاتم ثقة صدوق، وهو أثبت من حماد بن سلمة وقال النسائي ثقة ثبت وقال محمد بن سعد كان ثقة حجة، وذكره ابن حبان في الثقات قال وكان قدريا متقنا في الحديث، وقال البخاري قال عبد الصمد (ابن عبد الوارث) أنه لمكذوب على أبي وماسمعت منه يقول قط في القدر، توفي بالبصرة في المحرم سنة 180هـ، وقد بلغ من العمر 78 سنة وأشهرا.

أيوب: هو أبو بكر، أيوب بن أبي تميمة كيسان الإمام أبو بكر السختياني البصري الحافظ أحد الأعلام، من الطبقة الصغرى من التابعين، قال ابن المديني له نحو 800 حديث وقال شعبة كان أيوب سيد العلماء وقال ابن عيينة لم ألق مثله وقال حماد بن زيد هو أفضل من جالست وأشده اتباعا للسنة وكان الحسن يقول أيوب سيد شباب أهل البصرة وقال ابن سعد كان أيو ب ثقة ثبتا في الحديث جامعا كثير العلم حجة عدلا، وقال أبو حاتم ثقة لايسأل عن مثله، مات رحمه الله سنة131هـ، في الطاعون وله 63 سنة.

أبو قلابة: هو أبو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو ويقال بن عامر بن ناتل بن مالك، الجرمي البصري أحد الأئمة الأعلام قدم الشام وسكن داريا ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة وقال كان ثقة كثير الحديث وكان ديوانه بالشام فقال عمر لن تزالوا بخير ياأهل الشام مادام فيكم هذا أو مثل هذا، وقال أيو ب كان والله من الفقهاء ذوي الألباب ما أدركت بهذا المصر رجلا كان أعلم بالقضاء من أبي قلابة، وقال يحيى بن معين أرادوا أبا قلابة على القضاء وهو ابن خمسين سنة فأبى وخرج إلى الشام فمات بالشام سنة 104 روى له الجماعة.

أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر، قدم المدينة سنة سبع والرسول (ﷺ) بخيبر، فسار إليه وأسلم على يديه ولازمه ملازمة تامة رغبة في العلم، ولذا كان أكثر الصحابة رواية ببركة دعاء النبي (ﷺ) روي عنه (5374)، ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي رضي الله عنه بها سنة 57 في آخر خلافة معاوية وله من العمر 78سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه، مناقبه عديدة لايتسع المجال لبسطها، وباختصار من خلال أحاديث صحيحه من أحبه كان مؤمنا، ومن أبغضه كان منافقا.

أهمية الحديث

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان، كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! وبعطايا الرحمن في هذا الشهر الفضيل، وهذا تنبيه لأمة الإسلام لاغتنام الفرصة قبل فوات الأوان، فلعلها لاتتكرر...

وهو تهنئة بقدوم شهر رمضان الأبرك، وتحفيز على الاجتهاد في الطاعة والاستقامة.

مفردات الحديث

"تغل": تقيد وتوثق بالأغلال والسلاسل.

"مردة": جمع مارد، وهو المتجرد للشر، والمقصود هنا كبار الشياطين وأقوياؤهم.

المعنى العام

تقديم: نعيش في هذه الأيام المباركة بين يدي موسم من مواسم الخير والبركة، اختصه الله بما شاء من فضله وكرمه، فأنزل فيه أفضل كتبه على خير رسله، وتعبد هذه الأمة فيه بالصيام والقيام والإطعام، فجعل صيام نهاره فريضة، وقيام ليله نافلة، وفضل لياليه على سائر ليالي السنة، واصطفى من بينها ليلة، سلام هي حتى مطلع الفجر، وخير هي من ألف شهر.

وإن زائرا يزورنا مرة في العام، محملا بأفضل وأغلى الهدايا والعطايا، لأهل أن يتهيأ لاستقباله ويستعد لقدومه، وبخاصة إذا كان خيره وبركته عميمين، فطوبى للمشهرين.

مافتئ رمضان يعود علينا عاما بعد عام، ونحن نخرج منه كما نلقاه، وقليل منا من يكون بعده على أحسن مما كان عليه قبله، أفلم يأن لنا أن نعزم على اغتنام موسم قد لاندركه فيما نستقبل من أعوام، ونكف عن التسويف والتأجيل وعدم المبالاة وقلة الاهتمام؟!

إن شهر رمضان فرصة لايفوتها إلا متهاون مغبون، ولا يزهد فيها إلا جاهل محروم، أما من أنار الله قلبه، ونقى فؤاده، فتراه يستعد لرمضان قبل أن يلقاه، بأمور كثيرة من أهمها، أن يقدم بين يديه صيام شعبان جله وكله، تأسيا بنبيه صلى الله عليه وسلم الذي داب على ذلك، حتى قالت عائشة رضي الله عنها : "مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان"رواه البخاري.

1. شهر رمضان: شهر العطايا والمنح الربانية:

رمضان هو الشهر التاسع في ترتيب الشهور التي هي عند الله اثنى عشر شهرا من يوم أن خلق الله السموات والأرض، وعلى الترغيب الذي أنشاه عمر رضي الله عنه...

وهو الشهر الذي أنزل الله فيه القرآن. قال تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)البقرة:185.

وهو الشهر الذي ابتعث الله فيه نبيه وخليله وخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو الشهر الذي جعل الله منه إلى رمضان مابعده كفارة: فعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات مابينهن إذا اجتنبت الكبائر .

وهو الشهر الذي إذا دخلت أول ليلة من لياليه كان ما كان من الخير كما بشر بذلك الحبيب المصطفى(ﷺ)، ففيه تفتح أبواب السماء وفي رواية أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتقيد مردة الشياطين، فيضعف وقد ينعدم تأثيرهم على عباد الله الصائمين، وهذا فضل كبير، ومنحة ربانية خص الله بها الصائمين.

وهو الشهر الذي جعل الله فيه العمرة كحجة ليس هذا فحسب بل كحجة معه (ﷺ):لقوله (ﷺ): "عمرة في رمضان تعدل حجة" متفق عليه.

وهو الشهر الذي جعل الله فيه ليلة هي خير من ألف شهر في دين وعمل العبد المؤمن: فعند البخاري في كتاب صلاة التراويح: عن عائشة قال كان رسول الله (ﷺ) يجاوز في العشر الأواخر من رمضان ويقول: تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان" وأنت تعلم قوله تعالى: لليلة القدر خير من ألف شهر)...

وهو خير الشهور على المؤمنين وشر الشهور على المنافقين: فعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: "أظلكم شهركم هذا بمحلوف رسول الله ما مر على المسلمين شهر هو خير لهم منه ولا يأتي على المنافقين شهر شر لهم منه إن الله يكتب أجره وثوابه من قبل أن يدخل ويكتب وزره وشقاءه من قبل أن يدخل ذلك أن المؤمن يعد فيه النفقة للقوة في العبادة ويعد فيه المنافق اغتياب المومنين واتباع عوراتهم فهو غنم للمؤمن ونقمة على الفاجر" رواه أحمد والبيهقي، وحسنه الألباني.

2 شهر بهذا المقام... كيف نستقبله؟

هذا الضيف العزيز الكريم يأتي علينا ونحن أذلة مستضعفين أنهكتنا ذنوبنا وشهواتنا وحرمنا طلب المقامات العلية، مقامات الجهاد والمجاهدة مقامات البذل لله تعالى مقامات عز الطاعة والإنابة إلى الله تعالى، هذا الضيف سوف يجيء ليجد فينا ومنا حالا لا يسر حبيبا ولكن يسر عدوا، يسر الشيطان الذي يقعد للمسلم بكل صراط، وقد أخذ بتلابيبنا وأوشك أن يوقع بنا فيما يغضب الرحمن، ولكن من كريم فضل الله وسعة رحمته، أن جعل لنا مواسم للطاعة والإنابة...

يأتي ومعه كثير من أسباب الإعانة والتغيير التي يمن الله بها على عباده المومنين الذين يؤمنون أنهم لاينبغي لهم أن يهنوا ولا ينبغي أن يحزنوا، ولاينبغي بحال أن ينهزموا أو يضعفوا أو يصيبهم الخور أمام عدوهم، ولاينبغي كذلك أن يذلوا لغير الله تعالى المعز الكبير المتعال. بل هم يستبشرون بوعد الله تعالى حيث قال: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)النور:55.

ولذلك لابد إن أردنا الخلاص مما نحن فيه من الغبن وقلة الإيمان وكثرة الشرور.. أن نكون من أولئك الذين يقدرون هذا الضيف قدره ويحفظون عليه مكانته التي أنزلها الله إياه ويتنعمون بكثير الفضائل والهبات والهدايا والنعم الربانية التي يبعث بها الله تعالى مع هذا الضيف العزيز... أليس كذلك... لابد أن نجعل استقبالنا لهذا الضيف الكريم نقطة تحول كبيرة في حياتنا الإيمانية وفي أنفسنا، نقطة تحول نتحول بها:

أولا: من كثرة الذنوب والمعاصي التي لاتنتهي سواء الدائم منها، أو الطارئ، من فسق وفجور، وكسب حرام، وزنا وربا، وفساد أخلاقي... والتعاون على الإثم والعدوان كما هو في منكرات الليالي القبيحة المسماة بالليالي الرمضانية حيث يجتمع الرجال والنساء متجردين من كل القيم الأخلاقية، يبارزون ربهم بالمعاصي والذنوب في ليلة قضوا نهارهم صائمين... فلابد إذا من التحول من هذا الحال إلى العكس ولن يكون ذلك بالأماني والتمني، لا لن يكون ذلك إلا بتغيير النفس، والمجاهدة في الخروج من هذا الأسر أسر الدنيا والأخذ لها، ولن يكون ذلك إلا بالتوبة، التوبة من الحال الذي يعرفه كل منا من نفسه... ولا ينبغي أن نتقلل عيوبنا وذنوبنا وكأنها شيء هين فهذا شأن المنافقين.

فلنجعل من رمضان بما فيه من صنوف البر الكثيرة معسكر توبة نتحول فيه من أصحاب معاصي وسيئات إلى أصحاب طاعات فعل خيرات وليس هناك من الطاعات طاعة جمعت ما في التوبة من خير وفضل من الله تعالى ولذلك أمرالله بها، قال تعالى (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير)التحريم:8،

وقد شدد الله تعالى على من لم يتب فقال تعالى : (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات:11.

فهذا من أول ماينبغي أن نجعله من أعمالنا في استقبال شهر رمضان لنكون من يستقبله استقبالا حسنا...

وثانيا: ...أن نجعل من رمضان سببا لنيل الشرف وأن نكون من أهل الشرف خروجا ممن قهر الذل ذل المعاصي والانهزامية، والشرف الذي نقصده هنا هو قيام الليل، وما أدارك ما القيام ذلك البر الذي لما تركه المسلمون تركوا معه سببا عظيما من أسباب عزهم فالعز طريقه في أمرين:

1. الأول: الأنس بالله ليلا والترهب له، وجمع القلب عليه والانكسار ليلا فيورث ذلك الإخلاص.

والثاني: البذل والجهاد في الله نهارا في طلب العلا علما وعملا وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وهذا يورث الفداء والأباء، قيام الليل لاتضيعه واغتنم ماوعد الله به على لسان نبيه (ﷺ) حيث قال : "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه"... متفق عليه.

وثالثا: إدخال السرور على المسلمين: إن دخول شهر رمضان على المسلمين هو بمثابة دخول الغوث عليهم في دينهم ودنياهم، فأبواب الفرج تتفتح، ففي لفظ "إذا كان رمضان فتحت أبواب الخير" ولم يقيد أو يستثن، وهذا معناه أن كل أبواب الخير الدنيوية والأخروية تفتح، وكلنا يشهد بذلك ويحسه، ومن هذا المنطلق لابد أن تجعل من رمضان باب خير عليك وعلى أهل بيتك، وأصحابك، وكل محتاج وفقير مسكين ويتيم، فكن رحمة في شهر الرحمة...

ورابع: حسن الخلق ولين الجانب والألفة: فلنجعل من رمضان نقطة تحول من سوء الخلق والفظاظة والأحقاد والغل وسوء الطوية وسوء معاشرة الأزواج والإساءة لهن، والنشوز على الأزواج وعدم طاعتهم، والخروج من كبر النفس، والتعالي بعضنا على بعض، وتقطيع الأرحام والسعي في الأرض فسادا، وفحش اللسان والكذب والخيانة والغيبة والنميمة... وغير ذلك... من السوء فلنتحول من ذلك كله ومن كل خلق سيء، نجعل من أيام هذا الشهر معسكرا تربويا، نربي أنفسنا فيه على الأخلاق الحسنة وهي فرصة عظيمة لتحصيل ذلك الخير الكثير ففي الحديث الصحيح عنه (ﷺ): "إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم" ابن حبان في صحيحه.

هذه معالم أساسية لبرنامج استقبال هذا الشهر المبارك، لننال ما فيه من خير وفضل جزيل، وهي بطبيعة الحال تحتاج إلى تفصيل، وهذا الأمر موكول إلى كل محب لهذا الشهر الكريم... نسأل الله تعالى أن يحيينا إلى رمضان ويجعلنا فيه من المقبولين عنده آمين والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

الأمانة

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، نصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه من ربه اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وعلى من اهتدى بهديه واستن بسنته واتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:عباد الله، اتقوا الله وأطيعوه، واعلموا رحمكم الله أنكم إليه راجعون وبين يديه واقفون، فيسألكم عما كنتم تعملون، فيا سعادة من زحزح عن النار وأدخل الجنة، وأولئك هم الفائزون.

والفوز بالجنة. أيها الإخوة المؤمنون، أيتها الأخوات المؤمنات. بعد فضل الله ورحمته، يقتضي من المؤمن سلوكا خاصا، مقتفيا في ذلك أثر الأنبياء والمرسلين، عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

هذا السلوك ينبني أساسا على الوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، تلكم الأمانة التي تحملها الإنسان.

يقول الله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)الأحزاب:73.72.

إن حملا ثقيلا وواجبا كبيرا وأمرا خطيرا عرض على الكون سمائه وأرضه وجباله، فوجلت من حمله، وأبت من القيام به، ليس معصية لله، عز وجل، بل خوفا من عذابه سبحانه، وعرضت هذه الأمانة على آدم، عليه الصلاة والسلام، فحملها واستقل بها، وقول الله تعالى : (إنه كان ظلوما جهولا)أي: الإنسان المفرط المضيع للأمانة هو الظلوم الجهول، لا آدم، عليه الصلاة والسلام، كما ثبت ذلك عند المفسرين رحمهم الله.

وعن مفهوم الأمانة قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الأمانة الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا منه من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله تعالى.

الأمانة ياعباد الله. هي التكاليف الشرعية، هي حقوق الله وحقوق النفس، وحقوق العباد، فمن أداها فله الثواب، ومن ضيعها فعليه العقاب، فقد روى أحمد والبيهقي وابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة" وأشياء عددها، "وأشد ذلك الودائع"، وقال أبوا الدرداء رضي الله عنه "والغسل من الجنابة أمانة".

فمن اتصف بكمال الأمانة فقد استكمل الدين، ومن فقد صفة الأمانة فقد نبذ الدين، كما روى الإمام أحمد والبزار والطبراني وصححه الألباني، من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لاعهد له"، ولهذا كانت الأمانة صفة المرسلين والمقربين، قال الله تعالى عن نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام: (إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون"الشعراء:108.107

وكلما انتقصت الأمانة نقصت شعب الإيمان لما روى البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله (ﷺ) حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة" وحدثنا عن رفعها قال "ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرا، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا. ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان"، والظاهر أن الرجل إذا تعمد تضييع الأمانة بالتساهل في الفرائض وواجبات الدين والخيانة في حقوق العباد يعاقب بعد ذلك بقبض الأمانة من قلبه، وينزه الله تعالى أن يقبض الأمانة من قلب أحد من غير سبب من العبد، ومن غير استخفاف منه بواجبات الدين وحقوق العباد، كما قال الله تعالى: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين)الصف:5. وآخر الحديث يدل على أن الأمانة هي الإيمان، وهي الدين وواجباته، فالتوحيد وهو عبادة الله وحده لاشريك له وعدم إشراك أحد معه في العبادة أمانة، والصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والصيام أمانة، والحج أمانة، وصلة الرحم أمانة، والأمر بالمعروف أمانة، والنهي عن المنكر أمانة، والمال أمانة فلا تستعن به على المعصية، والعين أمانة فلا تنظر بها إلى ما حرم الله، واليد أمانة، والفرج أمانة، والبطن أمانة فلا تأكل ما لا يحل لك، والأولاد عندك أمانة فلا تضيع تربيتهم الصالحة، والزوجات عند الرجال أمانة فلا تضيع حقوقهن، وحقوق الأزواج على النساء أمانة، والوظائف أمانة، والمسؤوليات كيفما كانت أمانة، وحقوق العباد المادية والمعنوية أمانة فلا تنتقص.

وقد وعد الله على أداء الأمانات والقيام بحقوقها أعظم الثواب فقال تعالى : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) المؤمنون:11.8 والفردوس أعلى الجنة، ومن مدلول الآية نستشف أن الذي لا يؤدي أمانته، يحرم من هذا النعيم المقيم، وإن الأمانة تفقد شيئا فشيئا، فلقد أخرج النسائي عن عبد الله بن مسعود قال: "أول ماتفقدون من دينكم الأمانة وآخر ماتفقدون الصلاة وسيصلي أقوام لادين لهم".

والتفريط في الأمانات والتضييع لواجبات الدين يورث الخلل والفساد في أحوال الناس، ويجعل الحياة مرة المذاق، ويقطع أواصر المجتمع، ويعرض المصالح الخاصة والعامة للخطر والهدر، ويفسد المفاهيم والموازين، ويؤذن بخراب الكون، قال (ﷺ) وقد سئل: متى الساعة؟: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على الأمانات، حافظوا على حقوق الله وحقوق العباد والواجبات، واحذروا المحرمات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين وبقوله القويم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والعزة التي لاتضام، أحمد ربي وأشكره على آلائه العظام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله حق تقواه، وأطيعوه بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، تفوزوا بجنته ورضاه، قال الله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)النساء:58، وهذه الآية المباركة عمت جميع الأمانات.

ومن أعظم الأمانات الوظائف والأعمال والمناصب وحقوقها، فمن أدى مايجب لله تعالى عليه فيها وحقق بها مصالح المسلمين التي أنيطت بها والتي وجدت لأجلها فقد نصح لنفسه وإمامه، وعمل خيرا لآخرته، ومن قصر في واجبات وحقوق الوظائف والمناصب ولم يؤد ما أنيط بها من منافع العباد أو أخذ بها رشوة أو اختلس بها مالا فقد غش نفسه وقدم لها زادا يريدها، وغدر بنفسه وظلمها، وفي صحيح مسلم أن رسول الله (ﷺ) قال : "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، ويقال: هذه غدرة فلان بن فلان" أخرجه مسلم.

ونتوجه بكلمة ناصحة إلى أولئك الذين تحملوا مسؤولية تمثيل الناس في الجماعات المحلية وغيرها، والذين تنافسوا تنافسا شريفا وغير شريف ليتحملوا هذه الأمانة، نقول لهم اتقوا الله في أنفسكم واعلموا أنها في الدنيا أمانة ويوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، فعليهم أن يتدبروا أمرهم قبل فوات الأوان، فإن كانوا ممن توفرت فيهم مقومات حمل الأمانة، وقاموا بحملها كما يحب ربنا ويرضى، فياسعادتهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، و إن هم فرطوا فيها نسأل الله أن يتجاوز عنهم، وإن فعلوا ذلك بسبق نية وترصد، فإنه يخاف عليهم من عذاب الله تعالى.

وخير مانختم به الكلام الصلاة والسلام على النبي الأمين فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وخصوصا الأنصار منهم والمهاجرين، اللهم انفعنا بمحبتهم، واحشرنا اللهم في كريم زمرتهم، ولاتخالف اللهم بنا عن نهجهم وطريقتهم، يا أكرم مسؤول وياخير مأمول.

وانصر اللهم أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، الملك محمدا السادس، نصرا محفوفا بالرشاد، وأيده ببطانة من أصلح العباد، واجعله عونا على الحق وضدا على الفساد، واحفظه في ولي عهده المولى الحسن وسائر الأسرة العلوية الشريفة.

اللهم ارزقنا الهدى والتقى، والرشاد والسداد، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل شروالفوز بالجنة والنجاة من النار. اللهم إنا نسألك إيمانا صادقا، وقلبا خاشعا، وعلما نافعا، ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم لاتدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولاعيبا إلا سترته، ولاهما إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته، ولا مريضا إلا شافيته، ولامسافرا في بر أو بحر إلا سلمته.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

حول ثبوت رؤية الهلال

صحيح أن الكلام طال في هذه الجزئية أكثر مما يجب وذلك على أمد حقبة كبيرة من الزمان، فمنذ سنين عديدة والمسلمون يتخبطون في هذه المشكلة فلم يجدوا لها حلا إلى الآن، على الرغم من المحاولات هنا وهناك، ولكنه للأسف لم تزدد هذه النازلة إلا تعقيدا وصعوبة في التنفيذ مما جعل الكلام فيها ربما قد يكون غير ذي فائدة.

ولقد كتب وقيل فيها الشيء الكثير، ولم يترك فيها من سبقونا زيادة لمستزيد، وكل من حاول أن يقول أو يكتب فيها شيئا، فيما أعتقد إلا أن تكون كتابته وأقواله تكرارا لمن سبقه.

1. فمن قائل بأنه لابد من الاعتماد على الرؤية البصرية بالعين المجردة أو لفيف مقبول من طرف القاضي الشرعي دون الاعتماد على الحساب.

2 ومن قائل بالاعتماد على حساب العلامة.

3 ومن قائل بالاعتماد على بدء اليوم الهجري يكون بعد اليوم التالي من يوم الاجتماع.

4 ومن قائل بالحساب القطعي أي أنه إذا أفادت الضوابط القطعية بثبوت رؤية الهلال يعلن عنه ولا التفات لمراقبة أو غيرها.

5 ومن قائل بالرؤية إذا لزمت بلد إسلامي تلزم جميع بقية البلدان الأخرى علي رأي الجمهور.

6 ومن قائل باستقلال كل بلد برؤيته مع اعتبار درج المسافة ويعني بالبلد هنا حدود البلاد الجغرافي.

7. ومن قائل بأن الرؤية إذا ثبتت في بلد غربي لا تلزم الشرقي، وإذا ثبتت في الشرقي تلزم الغربي، وهذا شيء واضح لتأخر غروب الشمس مما يساعد على الانجلاء، ويدرك هذا من له إلمام بعلم الهيئة.

8 ومن قائل بأنه إذا حصل مكث للهلال بالحساب القطعي ولو لدقيقة واحدة في بلد إسلامي، تعين ثبوت الرؤية لجميع بلدان العالم الإسلامي.

9 ومن قائل بأنه يجب أن نستعمل أجهزة الرصد الضخمة المقربة على سواحل المغرب وموريتانيا والسينغال، فإذا كان هناك مكث ولو يسيرا فإن رئي الهلال بواسطتها متأخرا عن غروب الشمس. تكون الرؤية إذ ذاك عامة على جميع بلدان العالم الإسلامي.

ويقول صاحب هذا الرأي أننا إذا كان الشرع يعتمد على الأجهزة التقنية العصرية في التحليلات الطبية في المخابر، ويعتمد عليها القضاء الشرعي في إثبات حالة أو نفيها، فلماذا لا نستعين بهذه الأجهزة المكبرة على سواحل المغرب وغرب افريقيا ونرى بها الهلال عند مكثه بعد غروب الشمس.

10. ومن قائل يجب الاعتماد على درج المسافة في نقل الرؤية من بلد لآخر إذا توفرت فيها حدودها وضوابطها.

فهذه كلها آراء مختلفة واجتهادات كتبت في كتب ونشرت في مقالات في الجرائد ومجلات ومحاضرات وندوات، وهي كما ترون آراء متباينة ومختلفة.

وسوف أتناول هذا الموضوع في شطرين:

. الشطر الأول سنتكلم فيه عن الجانب العلمي العملي.

. والشطر الثاني سنتكلم فيه عن الجانب الفقهي.

1. أما الشطر الأول فالذي يقول بالاعتماد على حساب العلامة:

حساب العلامة هذا هو حساب اصطلاحي، وضعه أصحاب هذا الفن وذلك لبناية حركة الأزياج عليه بعد تحويلها من التاريخ الميلادي أو غيره إلى التاريخ الهجري، وهو يبتدئ من الزوال أي من حلول الشمس دائرة نصف النهار وينتهي إلى الزوال لليوم الذي يليه، بينما أن اليوم الشرعي التاريخي عند العرب هو يبتدئ من غروب الشمس وينتهي إلى غروبها من الغد، فهو يختلف معه بدءا ونهاية، زد على ذلك اختلاف الزوال من بلد لآخر شرقا وغربا، واختلاف الغروب للشمس من بلد لآخر.

وهذا من إشكالية اعتماد بلد رؤية بلد آخر، ولأن ذلك قد يتصادم مع الرؤية الفعلية.

2 أما القول باعتماد أول اليوم التاريخي الهجري بعد يوم من وقت الاجتماع هذا فيه إشكال أيضا.

وذلك أن الاجتماع يكون على مدار الزمان في ساعات مختلفة، فمرة في (المغرب) يكون على الساعة الواحدة ليلا، ومرة على الساعة العاشرة صباحا، ومرة على الساعة الرابعة مساء، ومرة على الساعة التاسعة ليلا إلى غير ذلك.

ووقت الاجتماع إذا كان زوالا في بلد، فقد يكون غروبا في بلد آخر، ويكون صباحا في بلد آخر، ويكون نصف ليل في بلد آخر.

واليوم الشرعي هو يبتدئ من غروب الشمس إلى غروبها من الغد في البلد الواحد، وكل بلد له غروب فكيف يتأتى لنا تطبيق ذلك.

وهذا متعذر لا محالة.

3 أما القول بالاعتماد على الحساب القطعي بعد المراقبة على سبيل الاستئناس، ولاسبيل للاعتماد على اللفيف إن كان يكذبه الحساب القطعي.

هذا هو الرأي الصائب في نظري، وأنا أستغرب هنا حال المسلمين أي من أصحاب الرأي والفتوى في الدين.

الشرع يقول إذا حصل فيء عند نصف النهار في المكان الذي أنت واقف فيه، تعين على كل مسلم مكلف في هذا المكان بالضبط صلاة الظهر، وحصول الفيء هذا يكون حينما تراقب الظل وهو يتناقص، فإذا رأيته يتزايد نحو الشرق تعلم حينئذ بوجوب صلاة الظهر، وكذلك إذا رأيت الظل زاد بقدر قامة وهي نحو سبع أقدام وجبت صلاة العصر وإذا غربت الشمس بعد التمكين وجبت صلاة المغرب وإذا غاب الشفق وجبت صلاة العشاء وإذا ظهر الشفق وجبت صلاة الفجر، ففي كل هذه المظاهر الكلية تثبت بالرؤية أي بالعين المجردة لأن الحديث فيها يقول (رأيت).

فهل سنحتاج إلى عدلين أو لفيف من الناس لمراقبة ظل الزوال وظل العصر وغروب الشمس ومغيب الشفق ونكتب لفيفا ويسجل عند القاضي ولانعتمد على الحساب ولا داعي إلى استخراج حصص أوقات الصلاة مسبقا لأننا لانثق بالحساب، وإذا قلنا العكس فلماذا لانعتمد الحساب في ضوابط رؤية الهلال.

فالحقيقة هي إما أن يقبل الحساب جملة وتفصيلا في جميع المواقيت الشرعية أو يرفض، والهلال هو من المواقيت الشرعية، قال الله تعالى: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج).

الشرع يقول صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، وإذا حددنا المفاهيم والفروق: نقول بأن الرؤية تكون بالعين المجردة. والرؤية بالعين المجردة تقتضي أن يكون المنظور إليه ممكنا بحيث أن لا يحول بين الناظر والمنظور إليه أي حاجب، وإذا قال الحساب القطعي المبني على ضوابط رياضية غير قابلة للشك بأن الرؤية ممكنة فلماذا لانعتمد عليه، الغريب هو أننا نعتمد على الحساب في شيء من الدين، ولا نعتمد على الحساب في آخر، ولا ضير أن يكون كل بلد له رؤيته، كما أن كل بلد له مواقيت صلاته، غير أن حدود الرؤية الجغرافي أوسع بكثير، فقد تتاح الفرصة لرؤية الهلال في البلاد الغربية أكثر من البلاد الشرقية، لأن الاجتماع قد يكون على الساعة العاشرة صباحا بتوقيت كرينتش فالمسافة بين وقت الاجتماع وغروب الشمس في مكة قليلة جدا لايتمكن فيها الهلال من الخروج من شعاع الشمس أي الانجلاء للقمر يحتاج إلى وقت أطول وكذلك الفرصة لهذا اليوم تكون لتونس أكثر من مكة والفرصة تكون للرباط أكثر، فكلما تأخر الغروب عن وقت الاجتماع كانت فرصة الرؤية أمكن، وبهذا تعلم أن الإعلان عن ثبوت رؤية الهلال في البلاد الشرقية قبل الغربية لايمكن بل يستحيل مطلقا.

فإذا ثبتت الرؤية في مكان أمكننا أن نقول بثبوت الرؤية في البلدان المجاورة، مع اعتبار حدود إمكان الرؤية، حسبما تبينه قاعدة درج المسافة هو أن ينظر في بلد الرؤية وغيرها فإن كان بينهما من المسافة خمسون يوما فأقل أو تقول ألفا ومائتان وستة وعشرون كلم فأقل أو تقول ست عشرة درجة وثلثان من درج المسافة سواء كان البعد جهة المشرق أو لجهة المغرب أو لجهة الشمال أو لجهة الجنوب وهذا هو المطابق للنصوص الشرعية والفقهية والفلكية.

وقد ارتضاه كثير من الفقهاء الفلكيين وصححوه وقالوا إنه الحق والصواب، ثم بعد ذلك ينبغي أن يقرر فيما أرى أن كل بلد،(قال الحساب القطعي تبعا لطوله وعرضه) إن الرؤية فيه ثابتة، يحكم بثبوت الرؤية فيه وفي جميع البلدان الشرقية عنه ولا عكس على رأي الجمهور.

أما أن يعلن عن ثبوت روية الهلال قبل الاجتماع كما وقع أكثر من مرة وسمعناه ومازلنا نسمعه في بلدان متفاوتة طولا وعرضا. فهذا لايقبله الشرع ولا يقول به عاقل أبدا، سيما وأن علم الفلك الآن أصبح معروفا ومدروسا في جميع أنحاء العالم ومبرمجا في أجهزة الكمبيوتر على مستوى عال، فإذا كنا نحن مسلمين ندعو الناس إلى الدخول في دين الإسلام لأنه دين كذا وكذا ونرغب فيه ونظهر سماحته وفضله ثم بعد ذلك نتصرف تصرفا خاطئا يعلمه غيرنا حيث نتسارع إلى الإعلان عن ثبوت رؤية الهلال قبل الاجتماع، وذلك كمن يؤذن لصلاة العصر قبل الزوال في المكان الواحد، فهذا شيء غير مقبول.

ويظهر لي أن سبب اعتماد علماء الدين على الحساب في مواقيت الصلاة دون الاعتماد على الحساب في ضوابط رؤية الهلال، هو اختفاء هذا الفن أي فن الأزياج وعلم التعديل من الساحة العلمية الإسلامية، وذلك منذ حقبة طويلة من الزمان.

فعلى طيلة مدة ليست بيسيرة لا نجد القدر الكافي من علماء المسلمين يهتم بهذا العلم، مما جعله يتقلص ويختفي ولم يعد يجد له مكانا لائقا به، فيما كان من قبل يدرس في مختلف المدارس، فهو الآن وإن جاد الزمان بمن فتح الله عليه به يكون ذلك قليلا ونادرا، وحتى المؤلفات فيه لم تنشر ولم تجد الإقبال الكافي، الذي يجعلها سهلة المنال، ويظهر لي أن سبب ذلك راجع إلى شيئين اثنين.

1. الخلط بين علم التوقيت والذي من ضمنه علم الأزياج والتعديل. وعلم التنجيم كما سنوضح ذلك.

2 صعوبة هذا الفن وتعقيده وتعاصيه، وكمثال على ذلك انظر كتب الأزياج التي هي عبارة عن جداول تحتاج معالجة مسألة واحدة في ضوابط الرؤية إلى نحو خمسين علمية في الحساب مما يتطلب مهارة وتثبتا في المعالجة، وأدنى خطأ يقلب الناتج رأسا على عقب. ولهذا تجد الأستاذ محمد بن ابراهيم العلمي المتوفى سنة1954بفاس، وهو شارح الزيج المذكور في كتابه (تقريب البعيد)يقول:

مع أن التوسع في المعلومات والمعارف لم يزل دأب فطاحل العلماء، والنظر في مذاهب المخالفين حتى في المعتقدات من شأن الأجلاء العظماء ولكن ولسقوط الهمم وقصورها وخمود الفكر عن الارتقاء لأعلى غرف المعارف وبديع قصورها، صار الجاهلون بهذا العلم يشنون الغارة على عارفيه تلوالغارة مع إخلالهم بمطلوب معرفته، من ذلك مما يرتضيه الشرع ويصطفيه... إلى أن قال وأجلت الفكر في كثير من دواونيه وصرفت نفائس الأوقات في معانات وجه التصرف بقوانينه، ولطوله وشدة تعاصيه، وتمنع الأخذ بنواصيه، قل أن تجد من لمتنه ممتطيا ولا لأقل مايحصل به الواجب متعاطيا، انتهى كلام العلمي.

وفعلا لم يتمكن منه إلا من رزقه الله ذكاء وقادا وموهبة خاصة، وكدليل على ذلك انعدام الكتب المؤلفة في فن الأزياج وعلم التعديل ومن يتبع ذلك من علم الحساب الستيني والهندسة والهيئة، زد على ذلك اختفاء علم الأزياج في جميع أرجاء العالم الإسلامي منذ حقبة من الزمان فإذا بحثت عنها لاتجدها بسهولة، وعلى مدى 120عاما لم يظهر من الكتب المتناول لهذا العلم إلا ثلاثة كتب اثنان في القاهرة وواحد في فاس طبع على الحجر طبعة مشوهة ومليئة بالتصحيف والتحريف، ومع ذلك فمن الصعب بل ربما من المستحيل الآن الحصول على نسخة منه.

إن حساب علم الأزياج والتعاديل في ضوابط الرؤية من الأمور المعقدة الصعبة التي لايسلكها إلا من فتح الله عليه فيها بذكاء وثبات وصبر. وأنا أنصح هنا كل من لم يتيسر له الاطلاع على علم الأزياج أن يبتعد عن الخوض في موضوع رؤية الهلال جملة وتفصيلا.

ولو لم يظهر جهاز الكمبيوتر وسهل عليه حساب الرؤية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، لما رأيت هذا الحماس المتزايد بالدعوة إلى الاعتماد على الحساب في رؤية الهلال، فهذ البرامج أيضا قام بها شخص واحد بمجهود فردي يشكر عليه، ومع ذلك لايجوز أن يعتمد عليها دائما بدون مراقبتها وإخضاعها للرصد المتوالي ومقابلتها مع النتائج بالحسابات اليدوية، فقد بدت تظهر على السطح بعض الأخطاء البرمجية، وذلك حتى يتأكد من صحة نتائجها وإصلاح البرامج المعدة لذلك.

فمثلا نجد في كتاب التقويم الهجري المغربي الذي تطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنويا خطأ فادحا في التقويم لعام 1421هـ ص 26حيث ذكر فيها أن القمر يغرب قبل الشمس وهذا خطأ في البرمجة، ونجد نفس الخطأ تكرر مرة أخرى في التقويم الهجري السنوي لعام 1423هـ ص27 والصحيح أن القمر غرب بعد الشمس وهناك مكث للهلال، وهناك أشياء وملاحظات قد يطول بنا المقام في جلبها.

فلا يجوز أن يهجر علم الأزياج والتعديل والهيأة، ويصبح الإنسان ينسخ هذا البرنامج في جهازه وبمعطيات يسيرة وبالضغط على زر واحد هاهي النتائج جاهزة، ويبقى البرنامج أشبهه بطلاسيم لايفكها إلا واضعها، وهنا أتساءل هل برمجة قواعد العلم على جهاز الكمبيوتر تغني عن دراسته.

فعلم الفرائض وعلم الحديث والفقه والنحو كلها دخلت للحاسوب، ولكن هل يغني هذا عن دراسة هذه العلوم من أساسها وهذا شيء مشكل لأنني أرى أنه لا ينبغي أن تترك دراسة العلم اعتمادا على جهاز. الكمبيوتر. الشطر الثاني (الجانب الفقهي):

مازلنا نسمع من يتذرع في رفض حساب ضوابط رؤية الهلال، من يردد الحديث الشريف (نحن أمة أمية لانكتب ولانسحب الشهر هكذا وهكذا إلى آخر الحديث).

ونحن لاننناقش صحة الحديث ولانعترض عليه.

ولكننا نريد فهمه، فهل يفهم من هذا الحديث أمر إلزامي بترك الكتابة والحساب للأمة الإسلامية من أولها إلى يوم القيامة.

أم هو إخبار عن حالة الأمة في بداية الرسالة المحمدية.

(يتبع ص: 7)

القرآن جاء فيه قوله تعالى: (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) صدق الله العظيم.

والغريب أن الذي يحتج بهذا الحديث يقصر على (الحساب) فقط. مع أن الحديث ورد فيه ذكر (الكتابة).

ثم إذا تركنا الحساب فلماذا لا نترك الكتابة أيضا، وإذا كان الأمر كذلك، فماذا نفعل بهذه الأوراق والأقلام المنتشرة هنا وهناك، ألسنا نكتب ولنا كاتبة، وكاتب، ومكتبة، وكتب، وكتاب.

وإذا كنا لانحسب فمن أين لنا تصحيح الفرائض في الميراث، وأحوال الجد، والوصايا، والمناسخات، وقسمة التركات، والمحاصات، أليست هذه كلها من الشرع، ألسنا نحتاج في ذلك إلى علم الكسور، وتوحيد المخارج، وحل الأعداد إلى أئمتها، والقاسم المشترك الأعظم، والأنظار الأربعة، والاختزال، كل هذه الأشياء وغيرها ما سمعنا من علماء السلف من اعترض عليها، ولانفاها بتاتا. لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (نحن أمة أمية لانكتب ولانحسب...).

فالحساب، وخصوصا ضوابط الرؤية، مستحسن مطلوب يكون حصنا يقي من غلط الحس، ومن تعمد الكذب، ومن التنطع بالشهادة قربى، لأنه قد يقصد بالشهادة جهلا التدين ويعتقد أن له أجر من صام بشهادته، وقد يقصد الشاهد بذلك تزكيته وثبوت عدالته، وللناس أغراض مختلفة.

لأن من المعلوم والمقرر شرعا أن الشهادة إذا وقعت بشيء مستبعد عقلا أو عادة ترد ولا تقبل.

حيث يقول الشيخ خليل في باب الشهادات ، عطفا على ماترد به الشهادة (ولا أن استبعد) قال الزرقاني . أي استغرب.

وقال الشيخ بخيت في رسالته.

قد ثبت بطريقة الحساب ثبوتا لا مرد له أن القمر يصل إلى نقطة فارق فيها الشمس في مدة 27 يوما و7 ساعات و43 دقيقة و4 ثواني ، ويجتمع معها مرة أخرى في مدة 29 يوما ونصف يوم و44 دقيقة و3 ثواني

والحسابات كلها أمور قطعية برهانية قانونية لا سبيل إلى مجاحدتها ، فإنكارها مكابرة ، ولله در القائل:

إن الحساب من العلوم جليل
وعلى دقائق الأمور كفيل
لولا الحساب لكل فريضة
لم يعلم التحريم ولا التحليل

واهتمام المغاربة بفن التوقيت وحساب الأهلة لم يكن حديث العهد فمنذ زمن بعيد وعلماء المغرب يهتمون بهذا الفن ، وهاهي مؤلفاتهم المتميزة في هذا الفن كثيرة جدا ، وذلك على مختلف العصور. فما زالت غرف التوقيت في كبرى مساجد المغرب موجودة إلى الآن، ووظيفة التوقيت مازالت تعتني بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

والمؤقت هو شخص ذو خبرة في فن التوقيت والتعديل ، تناط به حصص مواقيت الصلاة في الإقليم المعين فيه، وكان يوكل له استخراج سمت المحراب لجهة الكعبة المشرفة حينما يشرع في بناء مسجد ، وعليه مراقبة أذان المؤذنين طبق حصص مواقيت الصلاة.

ولكن هناك شيء آخر (ألا وهو الفتوى)

إن أخطر شيء أصبح الآن يتعرض له العالم الإسلامي من الداخل والخارج هو عدم الانضباط في الفتوى، وعدم الالتزام برأي الفقهاء، لقد كان فيما قبل أن الفقيه المفتي أو الشيخ المرجوع إليه حينما يصدر الفتوى تجد الكل ينصاع إليها ولا يستطيع الخروج عنها بحال ولا يتطلع إلى البحث عن الفتوى في جهة أخرى ، فما هو إلا السمع والطاعة ولكن اليوم وللأسف قد فتح باب الفتوى على مصراعيه وأصبح عرضة لكل من هب ودب وفي كثير من البلاد الإسلامية أصبحنا نلاحظ شبابا يتعصب لثبوت الرؤية في بلد دون بلد آخر ، وذلك دون سابق علم ولا معرفة حتى بأبسط الأشياء . فما أن يحارب الشخص الأمية أولا يعرف حتى القراءة أو الكتابة تجده متكلفا بتنصيب نفسه وصيا على الإسلام بدون حياء ولاوجل، ولقد سمعنا الهجوم على الإمام مالك وأصحاب الفروع، وسمعنا من يصوم ويفطر مع الشرق مع تواجده بالغرب خارجا عن الجماعة، ومشوشا على أهله وعشيرته ، غير مبال برأي العلماء في هذا الفن، وأحدثوا بذلك نوعا من الفتنة والحيرة، ودين الإسلام لم يجيء لمثل هذا، فهو دين سمح ، يدعو الناس إلى توحيد الصف ، فمن صلاة الجماعة إلى صلاة الجمعة ، إلى عرفات ، ويد الله مع الجماعة .، ولا يجوز أن يخرج شخص عن الجماعة بحال من الأحوال ، والغريب أن كل شيء يراعى فيه الاختصاص إلا الفتوى ، وهذا شيء خطير وخطير جدا لأنه أحدث بلبة عند عامة الناس في مسائل الدين ، ورأينا كل طائفة تتعصب لمذهبها وهذا موضوع يطول شرحه.

ولكن إذا كان الأمر كذلك كيف لنا أن نوجه الناس للاتفاق على رأي واحد ونوحد الكلمة في خصوص رؤية الهلال وتوحيد الأعياد والمواسم الدينية.

وتبقى دائما مشكلة الفتوى حول الاعتماد على الرؤية أم الحساب.

قد يقول بثبوت الرؤية ثبوتا قطعيا ولكن إذا حجبها غيم وخرجنا للمراقبة ولم نر شيئا فهل نكذب الحساب.

نعم نقول بالرؤية بالعين المجردة مالم يعارضها الحساب القطعي.

لكن لابأس من أن نستعين على هذه الرؤية بالوسائل التي أصبحت متوفرة اليوم. فالحساب يحدد سمت وارتفاع القمر ليلة المراقبة فإذا وجهت جهاز الرصد لنقطة سمت وارتفاع القمر فلا شك أنك ترى الهلال على عدسة المرقاب لائحا دون البحث عنه هنا وهناك حتى تفوت فرصة رؤيته ، فالشرع لم يمنعنا من استعمال النظارة في الكتابة والقراءة ، وطقم الأسنان ، وغير ذلك.

وهناك خلط وقع فيه رجال الدين ، وخصوصا الذين لم يكونوا على علم بعلم حساب الرؤية ، لقد صنف علماء الاسلام فروع علوم الفلك إلى ثلاثة أصناف أو ثلاثة أقسام.

1) القسم الأول : علم الفلك الطبيعي ، وهذا العلم هو الباحث عن حقيقة أجرام الكواكب وعن مادتها ، وماذا يوجد على سطحها ، ومتى تفنى ، وماعليها من درجة البرودة والحرارة إلى غير ذلك.

2 القسم الثاني: وهو علم الفلك الرياضي ، وهو العلم الباحث عن توقيت الزمان من شروق وغروب ، وتوسط واختلاف المطالع ودوائر الأفاق، والهيئة التي تبنى عليها تلك المسائل. والتوقيت الزماني ، وما يتبع ذلك من حساب ومواقيت الصلاة ومراقبة الأهلة وضوابطها واستقبال القبلة. والفصول الأربعة والتوقيعات الفلاحية.

3 . القسم الثالث: علم الفلك التنجيمي ، وهو العلم الباحث عن الحوادث ، وعلوم الغيب ، والزواج، والربح، والنحس، والسعد، والطالع وكل ماله صلة بعلم الجدول والطلاسم وأسرار الحروف، وهو ما يعرف بعلم أحكام النجوم . وعلم الرمل والزيارجة.

هذا القسم اتخذ الاسلام منه موقفا ، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة بتحريمه . والمتعاطي لهذا العلم يسمى (منجما)

وبعد هذا التصنيف الذي تعرف عليه علماء الإسلام بدءا من القرن الثالث الهجري وما بعده ، فلم يعد التخطيط ما بين التنجيم والتوقيت.

وهاهو الخوارزمي في مفاتح العلوم صنف ذلك ، وكذلك السكاكي وابن خلدون تكلم على علم الهيئة والتوقيت في فصل، وعلى التنجيم في فصل آخر.

ولكنك إذا وقفت في باب الصوم في كتاب في الفقه ككتاب مختصر خليل مثلا فعند قوله(لا بمنجم).

أي أن الهلال لا يثبت بقول منجم.

كلمة (منجم) هنا ماذا يعني بها صاحب المختصر؟ هل المنجم هو الذي يثبت رؤية الهلال عن طريق علم الغيب والكهانة . أو عن طريق تنجيميه اعتيادية كأن يقال مثلا : الشهر يكون كاملا إذا ما طلع يوم 28 وناقصا إذا لم يطلع يوم 28.

أم أن المنجم هو الذي يأتي بضوابط رياضية مبنية على حساب مثلثات كروية نتائجها قطعية لا تقبل الحدس أو التخمين ، (انظر شراح هذا المتن تجد مدى وقوعهم في خلط كبير):

إن علم التنجيم جنى جناية كبرى على علم التوقيت ، وما زال حتى الآن من لا يفرق بين ماهو تنجيم وماهو توقيت حتى من المثقفين والعلماء ورجال الدين . ولقد تجد كثيرا من علماء الدين والفقهاء يتبرمون من سماع أسماء البروج التي هي:

الحمل. والثور. والجوزاء.السرطان. الأسد. السنبلة. الميزان. العقرب. القوس. الجدي. الدلو. الحوت.

ظنا منهم أن من يذكر هذه الأسماء يعتقد شيئا من علم الغيب ، أو هو ساحر ، أو مدع علم الكهانة والمواليد، سيما وأن صور هذه البروج تقرأ يوميا في بعض الجرائد ، والمجلات ، وبعض الفضائيات ، ويكتب على كل برج ، اقرأ طالعك ، أو برجك ، فإذا كنت من مواليد كذا فسيكون لك كذا وكذا، وغير ذلك مما هو حرام شرعا.

فأسماء البروج هي قاعدة أساسية في فن التوقيت والتعديل وهي المدخل لهذا الفن وترتبط بقواعد أساسية ولها دورها الرئيسي في الفن.

أما الذين يتحرجون من ذكرها فأقول لهم ها هو الحق سبحانه يذكرها في كتابه العزيز : (وهو الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وهو القائل : (ولقد جعلنا في السماءبروجا وزيناها للناظرين) . الذي لا يعرف صور هذه البروج الاثنى عشر في السماء كيف يتأتى له أن ينظر إلى زينتها.

وكم أتمنى أن يدخل هذا العلم مراحل التعليم الأصيل والحديث ، فلا نجده لا في التعليم الثانوي ولا العالي ولاذكر له بتاتا ، وقل ما تجد من يستطيع استخراج ضوابط الرؤية باليد. وحتى لو حاول فمن أين له أن يجد حتى جداول الأزياج التي يعتمد عليها هذا الفن.

وأخيرا

إن رأيي هو إذا اتخذنا غرب إفريقيا . كالرباط وما يليه إلى سواحل موريتانيا إلى داكار) فإننا في غالب الحالات نجد الرؤية تتحد تبعا لما تنتجه درج المسافة التي أشرت إليها من قبل وذلك في حالات مختلفة حسب أحوال القمر ليلة الرؤية تبعا لما تقرره ضوابطها فإن الرؤية في غالب الحالات إن لم نقل في كلها تتحد من سواحل المغرب الأقصى وموريتانيا والسينغال . وإذا قرر الحساب إمكان الرؤية في هذه السواحل في غرب إفريقيا الإسلامي يجوز لنا أن نستمع إلى شهود الرؤية.

أما إذا قرر الحساب القطعي أن الرؤية مستحيلة في السواحل المذكورة فإن أي ادعاء بثبوت الرؤية من المحيط إلى شرق أندونيسيا يكون كاذبا لأنها شهادة يكذبها الواقع . لأن الحساب قطعي والشهادة ظنية والظني لا يقوى قوة القطعي ، ولأنه يلزم من ثبوت الرؤية في الغرب ثبوتها في الشرق ولا عكس ، فمثلا إذا شهد شاهدان في وقت الضحى بأن وقت العصر قد حل فهل تقبل هذه الشهادة، وهكذا إذا ثبت العلم شيئا فلا يجوز نفي ذلك الشيء بموجب لفيفي مهما كانت عدالته ،. وكذلك العكس.

إن أهم شيء تجب مراعاته هو (وقت الاجتماع) وهاهي نتائج سنوية مطبوعة في أروبا تحوي الاجتماعات لمدة مائة عام أي من 2000 إلى حدود 2100م.

وهي محسوبة بدقة متناهية بأجهزة عالية الكفاءة وهي متوفرة بالمكتبات العامة الفرنسية ، فعلى كل مسلم له الغيرة على دينه أن يطلع على هذه الاجتماعات فأمرها سهل.، وأن لا يثق بأي بلاغ عن ثبوت رؤية الهلال إذا كان مغرب الرؤية قبل الاجتماع، لأن هذا مستحيل ، وكذلك إذا كان مغرب الرؤية يتأخر ببضع ساعات عن الاجتماع ، لأن القمر يحتاج إلى وقت كاف للانجلاء ونحن في المغرب لنا فسحة من الزمان في ذلك الانجلاء أكثر من غيرنا لتأخر غروب الشمس عندنا.

فمثلا حسابات ضوابط الرؤية لفاتح شهر رمضان عام 1424 هـ.

فالاجتماع يكون يوم السبت 28 شعبان عام 1424 الموافق ل 2003/10/25 على الساعة 12 س و56 ق بتوقيت كرينتش، والفرق بين وقت الاجتماع ووقت المغرب هو 4 س و49ق وهو مدة الانجلاء أي الفترة التي يخرج فيها الهلال من تحت شعاع الشمس وهذا وقت غير كاف لتحقق الروية هنا بالرباط ، وإذا كان الأمر كذلك فإن مدة الانجلاء بجميع البلاد الإسلامية المتواجدة شرق الرباط تكون أقصر ، وهكذا حتى تكون منعدمة في الشرق الأوسط، أي أن الهلال هناك يغرب مع الشمس تقريبا ولا مجال لرؤية الهلال إطلاقا.

وبالرجوع إلى حساب ضوابط الرؤية هي كالآتي :

وذلك لعشية يومه السبت 28 شعبان 1424ق 10/25/ 2003 تكون كما يلي:

غروب الشمس: 5س و45 ق
غروب القمر : 5س و40 ق
ارتفاع القمر :33 ق فلكية أي نصف درجة تقريبا.
المكث : 4ق
قوس المكث : 1د 1ق
قوس النور: 3د 14ق
قوس الرؤية : 2د 3ق
بعد السواء: 2د 26ق
البعد المعدل : 2 د 26 ق
دقائق النور : 0د 13ق
مقام الرؤية: 10 د 25 ق

تعطي هذه الظوابط استحالة الرؤية للتاريخ المذكور.

وبالرجوع إلى أحكام الضوابط من كتاب تقريب البعيد للمرحوم سيدي محمد العلمي يقول في:

الوجه الأول:

فإن يك المكث حوى اثنى عشر
والنور ثلثي أصبع فهو يرى
واحكم بعسرها إذا تخالفا
ومنعها إن قصرا عن الوفا

الوجه الثاني

وإن تشأ دقائق النور اقسم
بأربع فذلك قوسه سم
أضفه للمكث وما قد اجتمع
إن كان دون يح فأمرها امتنع

الوجه الثالث

فإن تزد غايه بدر فاحكما
برؤية الهلال حكما جازما
ولتقض في العكس بمنعها وإن
تساويا فالعسر فيه قد زكن

الوجه الرابع

وإن يكن بعد السوا أزيد من
عشرة ثم المعدل يعن
ما بين عشرة ويب فاحكما
بضعف رؤية الهلال في السما

الوجه الخامس

فحد قوس رؤية الهلال
ثمان أدراج بكل حال
وحد قوس مكثه اثنا عشرا
وعشر للنور من غير امترا
فإن يكن وجد منها اثنان
فاحكم له برؤية العيان

الوجه السادس

وقال غيره حدود الرؤية
هي ارتفاع البدر قدر سبعة
وكون مكثه ثمان درج
وفوق ثلثي أصبع نور يجي
فاثنان منها يوجبان الحكما
برؤية الهلال حكما جزما

الوجه السابع

وإن يكن القوس أقل بأقل
من درجة فعسرها قد استقل
وإن يكن بدرجة فأكثرا
أقل فاحكم أنه ليس يرى

الوجه الثامن

ودون عشرة لسبع فالخفا
أقرب من ظهوره وقد وفا

فهذه الوجوه الثمانية كلها تفيد عدم ثبوت رؤية الهلال حسب معطيات ضوابطها.

وعليه ففاتح رمضان لعام 1424 إن شاء الله هو يومه الاثنين 27 اكتوبر 2003

وكتبه محمد الرمشاني أستاذ كرسي بمسجد السنة بالرباط لتدريس علم الفرائض.

أولوا العزم من الرسل

■ الأستاذة: نبوية الناصري

سيدنا محمد (ﷺ)

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)
صدق الله العظيم

الدفاع عن المدينة

ما إن وصل صلى الله عليه وسلم المدينة حتى بدأ في تأسيس مجتمع جديد قبل أن ينزل عن راحلته، لكن أنى للكفر أن يهدأ، وهو يبصر الإيمان ساعده يشتد، وجنوده تتجمع. لم تستطع قريش أن تكظم حقدها فأرسلت تهدد المسلمين وتتوعدهم، وهنا أنزل الله الإذن بالقتال أولا، ثم فرض القتال بعده، وكما كانت قلوب المسلمين تهفو إلى مكة حول الله صدورهم في الصلاة إلى الكعبة بنزول الوحي بتحويل القبلة. وما إن مر شهر على تحويل القبلة، حتى ساق الله المسلمين دون تهيؤ منهم إلى غزوة بدر الكبرى فكان نصرا كبيرا، ونجاحا مؤزرا، تلته أعياد أقيمت، وفروض فرضت. واستمر الجهاد حتى كانت غزوة أحد في العام الثالث للهجرة، ولم يكد المسلمون يضمدون جراحاتهم، حتى استأنفوا جهادهم دفاعا عن دولتهم الفتية، وأدركت قريش أنه لاقبل للمشركين بمحاربة المسلمين، إلا إذا اتحدت فصائلهم، وتجمعت أشتاتهم، فألفوا الأحزاب، وأحاطوا بالمدينة ينوون استئصال خضرائها، وإبادة ساكنيها، فكانت غزوة الأحزاب، التي نصر الله فيها عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وقد كشفت هذه الغزوة عن لؤم اليهود وغدرهم، فتلاها الرسول . صلى الله عليه وسلم . بغزوة بني قريظة، وظل النشاط العسكري متقدا بعدها حتى كانت وقعة الحديبية، والحق أن مكائد اليهود، والدور الذي لعبه المنافقون جعل مهمة الدفاع عن المدينة، لاتقتصر على حماية حدودها فحسب، بل تشتمل أيضا محاربة أعدائها الكامنين داخل الأسوار.

المسلمون بالمدينة

لم يكن مسلمو المدينة على وجه واحد، بل كان منهم المهاجرون الذين خلفوا وراءهم أموالهم وديارهم وبعض أهليهم، طاعة لرسول الله، ونصرة لدين . الله عز وجل . كما كان منهم الأنصار المقيمون بديارهم، واشتمل رهط النصار على شعبتين،الأوس والخزرج، وقد تجلت عظمة الإسلام، وحكمة نبيه في تحويل هذه الخيوط المتعددة إلى نسيج واحد، تجمعهم المؤاخاة وتؤلف العقيدة بين قلوبهم.

اليهود في المدينة

بنو قينقاع وبنو النضير وبنوقريظة، تلك قبائل اليهود الثلاث التي كانت تقطن المدينة، وهم رغم أصولهم العبرانية إلا أنهم صبغوا بالصبغة العربية في الزي واللغة والحضارة، لطول ما أقاموا في بلاد الحجاز. وقد كانوا يرون أنهم أصحاب علم وفضل وقيادة روحانية، لأنهم أهل كتاب ليسوا كوثنيي العرب، وكانوا يعلمون أن نبيا قد أتى زمانه، واعتقدوا أنه من نسلهم، وتوعدوا أهل يثرب بقتالهم تحت إمرته، وامتاز اليهود بالمهارة في فنون التجارة، فكانوا يوردون الثياب والحبوب والخمر إلى المدينة، ويصدرون تمرها،كما كانوا يضاعفون ثرواتهم من التعامل بالربا.

بناء المسجد

كان أول ما طالعته عيون المسلمين بالمدينة بعد نزول النبي . صلى الله عليه وسلم . على أبي أيوب رؤيتها رسول الله يشمر عن ساعديه، وينقل اللبن والحجارة بانيا مسجده النبوي منشدا:

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرين.

وقد أقيم المسجد في المكان الذي بركت فيه ناقة المصطفى، بعد أن اشتراه من يتيمين يملكانه، فسوى أرضه، وأقام أعمدته من الحجارة، وحوائطه من اللبن والطين، وسقفه من جريد النخل، وعمده من الجذوع، وفرشت أرضه من الرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب. وبنى النبي . صلى الله عليه وسلم . إلى جانبه حجرات أزواجه، من الحجر اللبن، وسقفها بالجريد والجذوع. وإلى جانب كونه مكانا للعبادة والصلاة فقد ظل المسجد منتدى تلتقى فيه جموع المسلمين، وجامعة يتلقون فيها علومهم، وبرلمانا لعقد المجالس الاستشارية، بل ودارا يأوي إليها فقراء المهاجرين الذين عمدوا الدار والمال والأهل بمكة. وكان تشريع الأذان في بداية الهجرة ميلادا لصيحة الحق التي لا زال المسلمون يتمتعون بسماعها خمس مرات كل يوم وليلة.

تشريع الأذان

ما أعظم القلوب حين تتجلى فيتراءى الحق على صفحتها! إن صحابيا جليلا هو عبد الله بن زيد رأى في منامه رجلا عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوسا في يده، فأراد أن يبتاعه منه حتى يدعو به إلى الصلاة، فسأله الرجل: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ ثم أرشده إلى كيفية الأذان. وأسرع ابن زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يخبره الخبر فقال له: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، ثم أمره أن يعلمها بلالا صاحب الصوت الندى، ليؤذن بها بين الناس. أما بلال فإنه ما إن بدأ أذانه حتى فوجئ المسلمون بعمر بن الخطاب يسرع في الطريق يجر رداءه قائلا: يانبي الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأى!! وهكذا يتضح أن من شغل قلبه بالبحث عن الحق لايلبث إلا أن يهديه الله إليه.

المؤاخاة

في دار أنس بن مالك كان اجتماع تسعين رجلا من المسلمين، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، يؤاخي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بين كل اثنين منهم على المواساة، بل والميراث أيضا، ولقد كانت لحظة رائعة في تاريخ الإنسانية، ذابت فيها روابط الجنس واللون والدم حين قويت وتألفت روابط الدين والعقيدة. ثم عقد النبي . صلى الله عليه وسلم . ميثاق تحالف بين المهاجرين والأنصار تأكيدا ودعما لمبدأ الأخوة والتراحم، اللازم لبناء المجتمع على أساس دستور نبوي يرتكز على مبدأين أساسيين هما:

. الرابطة هي العقيدة.

. والحكم هو الله.

وقد شمل هذا الميثاق أيضا معاهدة مع اليهود، تليت بمعاهدات مع قبائل عربية متفرقة.

بيعة نساء أهل المدينة:

عن أم عطية فيما أخرجه الإمام أحمد والبخاري: "لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة، جمع نساء الأنصار في بيت، ثم بعث إليهن عمر بن الخطاب. فقام على الباب فسلم، فردد عليه السلام . فقال: "أنا رسول الله (ﷺ) إليكن . قلن: مرحبا برسول الله ورسول رسول الله وقال: "تبايعن على ألا تشركن بالله شيئا، ولا تزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولاتأتين ببهتات نفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولاتعصينه في معروف" قلن: نعم فمددنا أيدينا من داخل البيت، ومد يده من خارج البيت. ثم قال: "اللهم اشهد".

ونهى عن اتباع الجنائز ولا جمعة لنا".

الصد عن المسجد الحرام

إن محمدا . صلى الله عليه وسلم . المشغول ببناء مسجده، والمؤاخاة بين أفراد أمته، وعقد المعاهدات مع جيرانه، والعناية بتنظيم شؤون مدينته، فوجئ بخطاب من قريش تعلن فيه الحرب عليه وعلى من اتبعه، ثم إن الأنصار قد فوجئوا أيضا بأنهم ممنوعون من زيارة بيت الله الحرام، وتمادت قريش في تهديد المهاجرين، فاتخذ المسلمون حذرهم واحتياطهم.

فرض القتال

في شعبان سنة اثنتين من الهجرة نزلت آيات الله تعالى الفارضة للجهاد، والقتال في سبيله،، ثم مالبثت هذه الآيات غير يسير، حتى تليت بآيات من سورة محمد، تصف طريقة القتال، وتبين أحكامه، وتحث عليه، وتذم أولئك الوجلين منه، الخائفين على أنفسهم.

تحويل القبلة

أمر الله تعالى في شعبان في العام الثاني من الهجرة بتحويل قبلة المسلمين من المسجد الأقصى بالقدس، إلى المسجد الحرام بمكة، ففضح كثير من ضعفاء اليهود ومنافقيهم، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا عداوته فضحوا برفضهم الامتثال لأمر الله، ورجوعهم إلى ماكانوا عليه، فتطهرت صفوف المسلمين منهم. ولاشك أيضا أن في تحويل القبلة إيذانا باستقبال طور جديد في دعوة المسلمين، طور لاينتهي إلا باحتلال القبلة الجديدة.

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

الإسلام في مواجهة صدام الحضارات

تعيش الأمة الإسلامية اليوم أوضاعا وحالات خطيرة تمس عقيدتها ومقدساتها وقد اجتمع قادة ورؤساء وملوك أربعة وخمسين دولة في " كوالالمبور" عاصمة ماليزيا في مؤتمر القمة الإسلامي ليتدارسوا القضايا والمشاكل الملحة التي تطال أمتهم التي يبلغ عدد سكانها حوالي مليار ونصف ومن أخطر المشاكل والقضايا ما يتعرضون له من إرهاب بدعوى تهم باطلة ألصقها الغرب بالإسلام من أجل الهيمنة والسيطرة على مقدرات الأمة ضاربا عرض الحائط بكل ما أقرته المواثيق الدولية للحرية وكرامة الإنسان وحقوقه، ومن الأمثلة الصارخة التي تدين الغرب في هذا المجال موقف دولة كبرى تكيل بمكيالين فتراها تعتدي على دول باسم محاربة الإرهاب ، وتسمي الكفاح المشروع ضد الاحتلال إرهابا كما يحدث اليوم في فلسطين وفي العراق، فالاحتلال الصهيوني أباد مئات وآلاف الضحايا في مجازر بشعة على مرأى ومسمع المجتمع الدولي كله، والاحتلال الأمريكي للعراق بتهمة حيازته أسلحة الدمار الشامل، التي تأكد اليوم عدم وجودها رغم مرور ستة أشهر على الاحتلال، وعندما أبدى الشعب العراقي معارضته ومقاومته للاحتلال اتهم بالإرهاب وليس من حق المقاومين العراقيين مواجهة الاحتلال الذي جاء ليبشرهم بالخير الكثير، والنفع الجزيل.

إننا إذا عقدنا مقارنة صحيحة بين مايحدث في فلسطين والعراق سنكتشف حقيقة مذهلة فالإسلام ينهى عن قتل الأطفال والنساء ، بينما نجد أن نصف قتلى الفلسطينين والعراقيين من النساء والأطفال ، كما أن الإسلام أمر بعدم قتل العزل والجرحى ومعاملة الأسرى بالرعاية، وأمر برعاية المقدسات في حين نجد إسرائيل الصهيونية تقتل العزل وتمنع وصول المساعدات الطبية للإجهاز على الجرحى ، وتعزل الأسرى وتنكل بهم وتعتدي على المقدسات ، ومنها المسجد الأقصى المبارك والمساجد التي حولت بعضها إلى ملاهي وخمارات كما حدث في يافا بفلسطين المحتلة.

إن الإسلام ليس دين إرهاب والغرب يعرف ذلك ، ويعرف أنه دين العدالة التي بها شيد أعظم حضارة في العالم، وليس هناك داع ولا حاجة للحديث عن صفات الإسلام وسماحته ، بل المشكلة أن هناك خطة صهيونية خبيثة تستهدف المسلمين في عقيدتهم بالدرجة الأولى، وهذا الهجوم الذي تتعرض له الأمة الإسلامية ليس أمرا جديدا، ولمواجهته بحزم يجب على علماء المسلمين ومفكريهم توجيه خطابهم إلى شعوب العالم وإقناعها بأن الإسلام هو رسالة إلهية ختم الله بها الرسالات وهو دين الرحمة والتسامح حتى مع غير المسلمين، إن خطابا كهذا بكل اللغات وعبر جميع وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية أمر ضروري لوضع النقط على الحروف وذلك من خلال رؤية واقعية ، مع التعاون بين المسؤولين والعلماء في مختلف أقطار الأمة الإسلامية .

إن الأحداث الجسام التي يمر بها عالمنا اليوم أدت إلى قيام تكتل واسع يحمل شعار" محاربة الإرهاب" وتوجهت أصابع الاتهام للمسلمين بغير دليل.

لقد أصبحت الأمة الإسلامية مستهدفة من الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، فالإسلام أصبح العدو الأوحد حسب الفكرة التي طرحها " هنتنغتون، في كتابه " صدام الحضارات" وفوكوياما" في مؤلفه " نهاية التاريخ" الأفكار السخيفة الواردة في الكتابين تنم عن حقد عنصري ضد الإسلام وهي بمثابة تحريض للغرب على المسلمين ، وقد برز هذا التوجه العدواني بتصريح رئيس وزراء إيطاليا قال فيه : إن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية فما هو موقف المسلمين من هذه التحديات ؟ وهل صحيح أن حتمية الصدام آتية بين الحضارات الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية والصهيونية؟

كتاب الصيام (2/8)

■ الفقيه الأستاذ محمد بن لحسن الحسني

شروط الصوم : ستة وهي:

الإسلام . والعقل . والبلوغ . والصحة والإقامة والنقاء من دم الحيض والنفاس. فالاسلام شرط وجوب على القول بعدم خطاب الكفار بالأحكام الشرعية ولاشتراط البلوغ لا يؤمر بالصوم غير البالغ ، وقيل يؤمر به إن أطاقه كالصلاة وفقدان العقل إما أن يكون بجنون أو بإغماء أو بنوم ، فإن كان بجنون ، فقال مالك في المدونة : من بلغ وهو مجنون مطبق ، فمكث سنين ثم أفاق فليقضه صوم تلك السنين ولا يقضي الصلاة كالحائض.

وأما النوم فلا أثر له اتفاقا ولو نام طول النهار لأن النوم ساتر للعقل غير مزيل له. وأما الإغماء ، فإن أغمي عليه طول النهار فليضقه كالجنون .، وكذلك عليه القضاء إن كان مغمى عليه عند الفجر ولو أفاق جل النهار ، فإن سلم عند الفجر وأغمي عليه بعده أقل النهار فلا قضاء كالنوم ، ولا يؤمر بالإمساك بقية نهاره من كان مغمى عليه عند الفجر.

الحيض والنفاس : الدم مانع من الصوم سواء كان الصوم واجبا أو غير واجب، وتقضي الحائض والنفساء الفرض من الصوم الذي أفسده وجود الدم، ولا تقضي غيره مما ليس بفرض.

الانقطاع : إذا انقطع الدم قبل الفجر أو عنده فلا أثر على الصوم ، فتصبح صائمة ، سواء أمكن الغسل أم لا، اغتسلت أم لا، هذا هو الراجح . فإن شكت هل طهرت قبل الفجر ، أو بعده، صامت لاحتمال أن تكون طهرت قبله ، وقضت لاحتمال أن تكون طهرت بعده.(وهذا بخلاف الصلاة فلا يجب عليها أن تقضي من الصلاة ما شكت في وقته هل كان الطهر فيه أم لا . لأن الحيض مانع من أداء الصلاة وقضائها وهو حاصل. والطهر موجب للقضاء وهو مشكوك فيه ، وأما في الصوم فإنما يمنع الحيض من الأداء خاصة . ولا يمنع من القضاء، لذا وجب قضاء الصوم دون الصلاة فلا تقضي من الصلاة ما خرج وقته.) وقال الفقيه الطاهري رحمه الله:

الإغماء بعد الفجر نصف يوم
ليس بموجب قضاء صوم
وجل يوم موجب والمغمى
قبل على الإطلاق يقضي الصوم
وهكذا جنون يوم واحد
وعندنا القضا بكل زائد
والشافعي والإمام الأعظم
قد أسقطا القضا لأمر يعلم
والسكر مطلقا كالإغماء ولا
قضا على النائم شهرا مكملا
هذا الذي ذكر حكم الصوم
وللصلاة غير هذا الحكم
وهو السقوط بجنون إغما
استغرقا وقتا لها وعما
أو حيض أو نفاس أو بكفر
أو فقد ما والترب يامن يدري
كالسكر بالحلال لا الحرام
ولا بنوم فا حفظن نظامي
ولا بنسيان ولا تعمد
ترك لها على القوي المعتمد

وأما السفر فقال مالك رحمه الله في المدونة: من سافر سفرا مباحا تقصر في مثله الصلاة فإن شاء أفطر وإن شاء صام . والصوم أحب إلي اهـ . وفي المختصر:من قدم بلدة ونوى أن يقيم بها اليوم أو اليومين. فليفطر حتى ينوي إقامة أربعة أيام فيلزمه الصوم كما يلزمه إتمام الصلاة. ولجواز الفطر في السفر أربعة شروط:

1 . أن يكون السفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة :(84 كلم فأكثر) قصدت دفعة واحدة لا بالتقطيع ، في الذهاب، لا ملفقة بين الذهاب والإياب. فإن سافر إلى دون المسافة وظن أنه يباح له الفطر فأفطر فعليه القضاء دون الكفارة لأنه تأول تأويلا قريبا.

2 أن يكون السفر مباحا لغرض مقبول شرعا كالتجارة وطلب العلم والعلاج وصلة الرحم، والبحث عن العمل. فإن كان السفر لمعصية كالسرقة وشبهها وأفطر فعليه القضاء والكفارة معا لانتهاكه حرمة رمضان.

3. أن يشرع في السفر قبل الفجر في أول يوم من سفره . فمن سافر قبل طلوع الفجر فله الفطر ، لأنه كان مسافرا وقت انعقاد الصوم أي نيته. وقال مالك رحمه الله في المدونة : إن أصبح في حضره صائما في رمضان وهو يريد سفرا ، فلا يفطر في ذلك اليوم لا قبل خروجه ولا بعد خروجه . لكن إن أفطر قبل خروجه وجبت عليه الكفارة أيضا. وإن أفطر بعد خروجه فعليه القضاء فقط.

4. أن يبيت الفطر وينويه ليلا إذا كان في أثناء السفر في غير اليوم الأول ، كما يشترط تبييته في أول يوم منه . فإن نوى الصوم في أثناء سفره لم يجز له الفطر في ذلك اليوم إلا لعذر. وعليه القضاء والكفارة معا في ثلاث مسائل إن أفطر:

. الأولى : إذا بيت الفطر بحضر أي نوى الفطر قبل الشروع في السفر ، ولم يشرع في السفر قبل الفجر ، بحيث ما خرج إلا بعد الفجر أو لم يسافر أصلا ، ولا يعذر بتأويل لأنه حاضر بيت الفطر ، فإن سافر قبل الفجر وطلع عليه الفجر بعد أن جاوز بساتين البلد فلا كفارة عليه.

. الثانية : إذا بيت الصوم بسفر ، وطلع عليه الفجر وهو ينوي الصوم ، ثم أفطر .

. الثالثة: إذا بيت الفطر قبل الفجر بحضر. كما هو المطلوب . ولم يشرع في السفر قبل الفجر ، وإن كان عازما على السفر فلا كفارة عليه ، وكذا لاكفارة عليه إذا كان غير منتهك لحرمة الشهر بل كان متأولا ، أي ظانا إباحة الفطر في هذه الحالة.

الصحة : يباح الفطر لأجل المرض إذا خاف المريض بصومه زيادة المرض أو تأخر الشفاء أو حدوث مرض آخر ، أما إذا خاف بالصوم هلاكا أو شديد ضرر كتعطيل حاسة من حواسه ، فإن الفطر يصبح واجبا عليه.

كما يباح الفطر للحامل والمرضع التي تخاف على نفسها أو رضيعها أو جنينها مرضا بالصوم أو زيادته ، ولم تجد المرضع ما تستأجر به من يرضع لها رضيعها أو لم يقبل غيرها ، ويجب عليها الاستئجار إن أمكن ، فإن خافتا الهلاك وشدة الضرر وجب الفطر ، وخوفهما على نفسيهما داخل في المرض ،وتكون أجرة الرضاع من مال الولد إن كان له مال أو على أبيه أو أمه ، وتقضي ما أفطرته من الأيام بدون إطعام لأنها في حكم المريض على الراجح ، وقيل تطعم المرضع.

وللفقيه الطاهري أيضا في إفطار من يخاف نزول المرض:

خوف نزول مرض بالصوم لا يبيح فطرا قاله من قد علا
واستثن حاملا ومرضعا على
نفس أو الولد خافتا اعقلا
قد قال هذا السلامي سيدي
الطالب بن الحاج فلتعتمد

إذا تقدم بالإنسان السن والعمر وعجز عن الصوم وأصبح لا يطيق ، جاز له الفطر ولا قضاء عليه وإنما يستحب له الإطعام.

وإذا كان الشخص كلما صام عطش جدا وغلبه العطش حتى يشرب ، وجب عليه الإطعام إذا كان لا يطيقه في أي فصل . فإن كان يطيقه في الشتاء مثلا قضاه.

والإطعام هو إخراج مد نبوي :(حفنة اليدين..) من غالب قوت أهل البلد عن كل يوم لمسكين، ويستحب الإطعام للكبير وقيل للمرضع ، ويجب على المتعطش، وعلى من فرط في قضاء رمضان حتى دخل عليه رمضان الموالي ، بحيث يمكنه القضاء في شعبان وليس له عذر يمنعه من الصيام ، فإن حصل له عذر في آخر شعبان واتصل برمضان فلا إطعام عليه . فمن عليه خمسة أيام مثلا ، وحصل له عذر قبل رمضان الثاني بخمسة أيام فلا إطعام عليه ، ولو كان طول عامه خاليا من الأعذار، وإن حصل له عذر في يومين فقط، وجب عليه إطعام ثلاثة أمداد لأنها أيام تفريطه ، دون أيام العذر. ويجوز إخراج المد مع كل يوم يقضيه ، أو بعد تمام كل يوم ، أو بعد تمام جميع الأيام، وحتى قبل الشروع في القضاء وبعد الوجوب. بدخول رمضان الثاني . وخالف المندوب ،ولا يجزئ قبل الوجوب ويعاد.

وبعضهم رتب شروط الصوم ثلاثة أنواع :

الأول : شروط وجوب وهي:

1 . البلوغ .
2 . القدرة على الصوم.
3 . الإقامة . فإن صام الصبي أو الضعيف أو المسافر صح منهم إن وقع .

الثاني : شروط صحة:

1 . الإسلام .
2 . الزمان القابل للصوم . فلا يصح الصوم من كافر حتى يومن ويسلم، ولا يصح الصوم في غير وقته المحدد له.

الثالث : شروط وجوب وصحة وهي:

1. العقل .
2 . الخلو من الحيض والنفاس.
3 . دخول شهر رمضان . فلا يجب الصوم ولا يصح من مجنون، ولا من الحائض والنفساء، ولا في غير رمضان المخصص للصوم الركن.

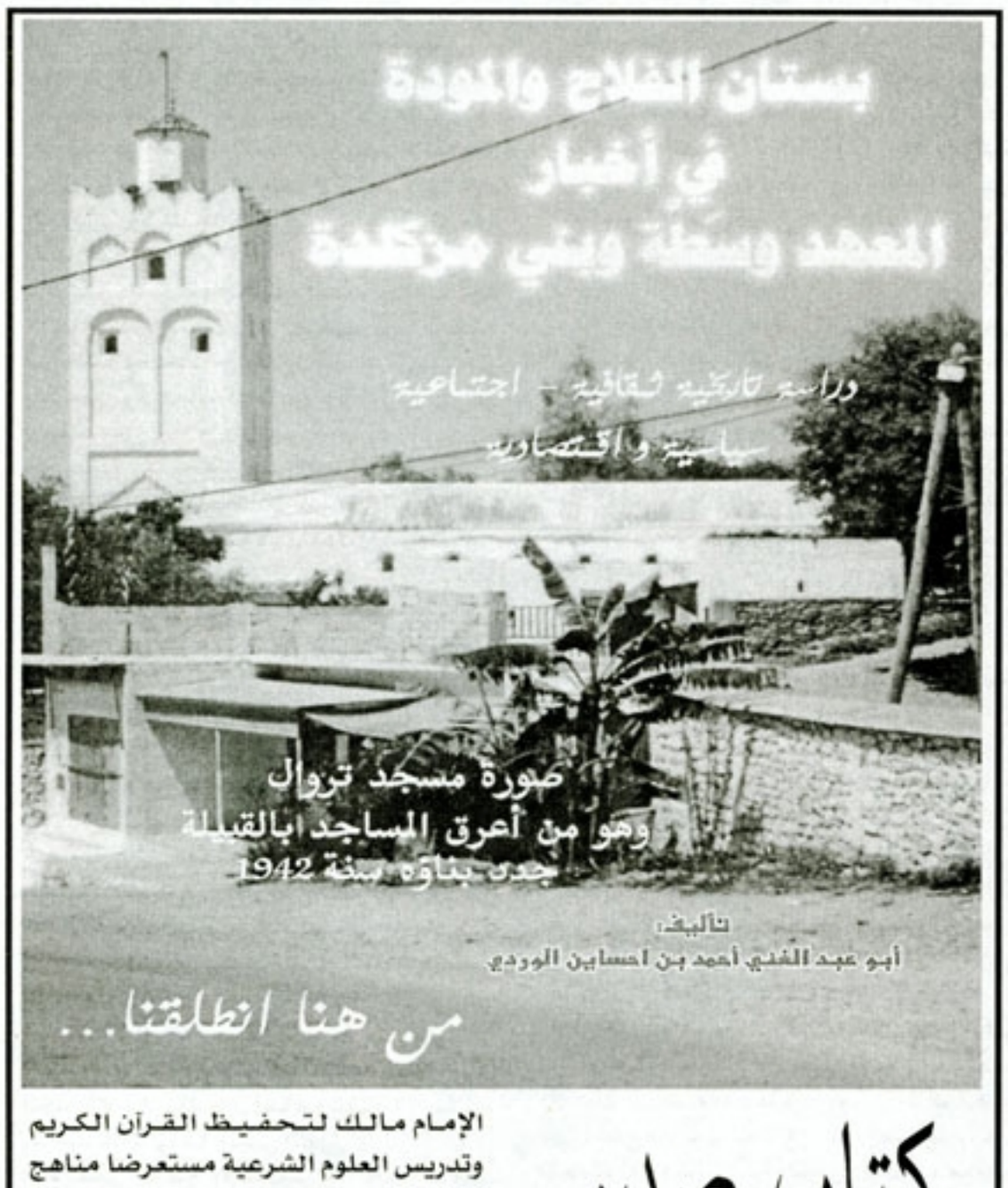

كتاب صدر

أصدر الفقيه العلامة أبو عبد الغني أحمد الوردي مدير معهد الإمام مالك بتروال كتابا تحت عنوان:« بستان الفلاح والمودة في أخبار المعهد وسطة وبني مزكلدة، تعرض فيه لتاريخ القبيلتين وجهود المحسنين التي أثمرت إنشاء معهد الإمام مالك لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية مستعرضا مناهج المعهد، والعلوم التي تدرس به، وعلاقاته مع محيطه ومآل طلبته، كما تحدث عن علماء المنطقة ومجاهديها ومقدراتها الاقتصادية والاجتماعية، فجاء الكتاب حافلا موثقا لما انتدب المؤلف نفسه له، سادا ثلمة من ثلمات التاريخ المحلي لبلادنا، واعدا القراء بتوسيع دراسته في جزء آخر بحول الله، يتناول فيه مالم يستطع تقديمه في هذا الكتاب الهام.

الإسلام نصا وروحا لا يسوغ ارتكاب العنف

■ إعداد الأستاذ عثمان بن خضراء

■ من المعروف أن العنف هو الآلية المفضلة التي تلجأ إليها الجماعات الفكرية في فرض مشاريعها الخاصة سواء أكانت هذه الجماعات قومية أو عرقية أو دينية أو طائفية أم كانت ذات توجه فكري شمولي كالجماعات الشيوعية وما إليها . فالعنف لديها مبرر ومشرعن .

والحقيقة أن العنف ظاهرة تاريخية قديمة قدم التاريخ البشري وظاهرة عالمية لا تحتكرها ثقافةما، ولا يختص بها مكان دون الآخر!

هذا على مستوى عام ، أما على مستوى خاص بنا فإن العنف هو الذي يحتل واجهة العمل الإسلامي اليوم، وهذا هو المعضض والمزعج في الأمر ، لأن هذه الجماعات الفكرية والسياسية المتورطة بأعمال العنف تنسب نفسها إلى الإسلام ، والإسلام نصا وروحا لا يسوغ ارتكاب العنف ولا يجيز اللجوء إلى الغيلة والاغتيال سواء كان ماديا أو معنويا، وهذا فيه إساءة أيما إساءة لصورة الإسلام وتشويه لصورة المسلمين في كل أصقاع العالم ، فلم هذه المجافاة الصريحة لتعاليمه والتنكب عن طريقه ومنهجه الوسطي الذي يدعو الناس إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة؟

إضافة إلى هذا فإن جماعات العنف التي تتحدث باسم الإسلام والمسلمين ، وهذا هو المرير ، تسيء بشكل خاص إلى جمهرة العاملين في الميادين الإسلامية كافة مما أوجد حالة من التوجس والتخوف بمراميهم النبيلة، فتسبب في سد آفاق العمل الإسلامي في العديد من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية .مع أن جماعات العنف لا تمثل الكثرة الكاثرة ولا التيار الغالب في حقل الدعوة الإسلامية.

لكن المشكلة أنهم هم المتصدرون للساحة الإسلامية، لا لشيء ، إلا لعنفهم وما يحدثه من جلبة وضجيج فيقفزون بهذا إلى عناوين الصحف ومقدمات النشرات الإخبارية ، فربط العنف بكل ماهو إسلامي ، وفي هذا تعميم مجحف! ولا يخفى على العارفين بمجريات العمل الإسلامي بطلان هذا الاتهام وزيفه ، ولكن ، للأسف، أن هؤلاء المغالين هم الذين أعطوا للآخرين مسوغات هذا الاتهام الظالم وهؤلاءالآخرين فيهم من هو خصم ومن هو شامت ، ومن هو على الأقل غير مبال بتحري الحقيقة.

إن المتأمل في مسيرة العمل الإسلامي منذ ما يقرب من القرن يلحظ أن هذه المسيرة عبرت من زمن المحنة إلى زمن الفتنة. فالوعي الذي كانت تبثه كان ، بالفعل ، وعيا محاصرا ومضطهدا في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي ، لكن مع انصرام عقود من الزمن أصبح هو الوعي السائد المنتشر في هذه البلدان ، وهو ما يعرف باسم فكر الصحوة الإسلامية

فالسؤال الذي يبدر هنا: لم هذا الانتقال الشقي من حدود المحنة إلى تخوم الفتنة؟ ومن المحزن ومن المؤلم أن إشاعة ثقافة الفتنة طالت شظاياها حتى الدول التي تعمل بمقتضى المنهج الإسلامي القويم. وطالت أيضا علماءها وناسها ، هل هذا لأن مدفعية التكفير وذخيرتها الحية لا تبقي ولاتذر على أحد من المسلمين ، أم أن لذلك أسبابا أخرى أعمق وأبعد تتصل بعصرنا وتعقيداته الذي نجتهد أن يكون لنا فيه مكان لائق يتلاءم وعظم موروثنا وتاريخنا الحضاري .

وحيث أن بلدان الشرق لها قصب السبق في هذا الشأن الهام فقد سبق منذ سنوات انعقاد ندوة ضمت جمعا من العلماء والمشايخ والباحثين للبحث في أسباب نشأة فتنة التكفير والتعرف على حصادها المر.

وكانت المواضع المطروحة على بساط الدرس تدور حول

. عوامل نشوء تيارات العنف المنتسبة إلى الإسلام زماننا ، وماصلتها بتيارات الغلو القديمة.

. ماضوابط تغيير المنكر باليد،.

. ما مدى مشروعية الجماعات الإسلامية المعاصرة؟

. كيف يمكن التصدي لدعوات التكفير ، والخروج المسلح على الحاكم المسلم.

. ما السبيل إلى تحكيم شرع الله تعالى في البلدان الإسلامية التي تحكمها نظم علمانية. ما تأثيرات تيارات العنف هذه في مستقبل الصحوة الإسلامية؟

فحدد أولا الشيخ محمد صالح العثيمين عامل نشوء تيارات العنف المنتسبة إلى الإسلام في زماننا بالجهل ، الجهل بالشريعة الإسلامية المبنية على الحكمة، وبالهوى. أما عن صلة هذه التيارات بما قبلها فيقرر أن البشر هم البشر منذ أن خلقهم الله سبحانه وتعالى إلى اليوم، وفيهم المتطرف المفرط، وفيهم المغالي، وفيهم الوسط ، وهذا الأخير هو خير الأقسام، لأن المتطرف من هنا أو هناك ينظر إلى الأمور من زاوية واحدة فيفوته القيام بالقسط الذي هو العدل . أما الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان فيضيف إلى جهلهم بالدين تمكن دعاة الفتنة المغرضين من مخاطبة الرأي العام ، ونشر كتب فرق الضلال القديمة أو الكتب المعاصرة المستمدة من فكر الخوارج.

كما يعزو الدكتور علي إبراهيم النملة الأمر إلى الحماس الجارف والعاطفة الجياشة لدى بعض شباب الصحوة الإسلامية من ذوي البضاعة العلمية المحدودة. ويخلص الدكتور محمد بن أحمد شوق النشأة والأسباب بأن كثيرا من الشباب يتصورون عن جهل وتغرير. أن ما يرتكبونه من عنف هو الطريق إلى إصلاح حال المسلمين والبعض الآخر باع نفسه للشيطان رغبة في الثراء أو الشهرة والانتقام من المجتمع الذي لا يروق لهم ما يجري فيه من أخطاء للحكام وسلبية من المحكومين ، ومن ثم فالجميع كفار !!

وتكفير المسلمين على أساس ارتكابهم المخالفات للسلوك الاسلامي الصحيح هو من عقيدة الخوارج .هؤلاء وغيرهم من الفرق االضالة يقتدي أصحاب الفكر المنحرف بهم.

وقد وصلنا إلى هذه النقطة يحق لنا أن نتساءل كيف نغير المنكر؟ وبعودتنا إلى راي العلماء الاجلاء نرى الشيخ العثيمين يؤكد أن ضوابط تغيير المنكر باليد تتحدد بضابط واحد أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه، الإنسان في بيته يستطيع أن يغير المنكر لكنه في الشارع قد لا يستطيع ذلك ، وهنا يجب أن ننبه إلى أن هناك دعوة للخير وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وتغييرا وقد فرق الله عز وجل بينها . فأما الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يذكر الله سبحانه تعالى فيها استطاعة بل قال تعالى:

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، لكن تقيد هذه بالاستطاعة العامة المشروطة في كل واجب . أما التغيير فإن النبي صلى الله عليه وسلم قيده بالاستطاعة تقييدا خاصا في الحديث السابق الذكر. وذلك لأن هذا أشد وأقرب لعدم الاستطاعة لأنه قد يترتب عليه من الشر ما لا يترتب على مجرد الأمر والنهي والدعوة، أما الدكتور محمد شوق فيرد على بعض الذين يزعمون أنهم حين يقومون بتغيير المنكر باليد إنما يأخذون بمرتبة أقوى من الإيمان على اعتبار أن التغيير بالقلب هو أضعف الإيمان وهذا يدل على قصور في الفهم وضحالة في التفكير وسطحية في تفسير مدلولات الأحاديث الشريفة ومقاصدها . فالذي يملك التغيير باليد هو ولي الأمر أو من ينيبه وإلا اعترت الفوضى المجتمع المسلم. فلنا أن نتصور أن كل من يرى منكرا في سلوك فرد أو جماعة من المسلمين استخدم الجبرية ليوهه أو يوجههم إلى ما يتصوره حقا وعدلا بهذا مع اختلاف وجهات النظر وتباين الرؤى حيال المواقف والحكم عليها، باختلاف درجات العلم والرفق والصبر.

ويلاحظ الدكتور عبد الرحمن المطرودي بعد ذلك على قضية التدرج بالأمر بالمعروف وإنكار المنكر ومراعاة حال الداعي والمدعوين في مسألة القبول والتأثير ويخصص الدكتور إبراهيم أبو عباة ملاحظته حول حقوق المعاهد في الإسلام.

لأن تيارات الغلو الجمحة تستحل في كثير من الأحيان دماء أهل القبلة ، فمن باب أولى أن تستحل دماء المعاهدين وأموالهم.

ويبين الدكتور صالح الفوزان أن كثيرا من المسالك المرفوضة شرعا نجمت عن اتجاهات حزبية كما يوضح الدكتور علي إبراهيم النملة أن تبني الحزبيات يؤدي إلى فهم انتقائي مبتور ، يختار نظرة من نظرات الإسلام إلى الحياة على حساب الجوانب الأخرى،

ولا يخفي الشيخ إبراهيم جوب أساه من حجم المفارقة بين الشعار والواقع لدى بعض الجماعات التي ترفع شعارات إسلامية ضخمة ، مثل تحكيم شرع الله في حين تتجه ممارسات هؤلاء وجهات لا يقرها الدين الحنيف.

وينعي الدكتور عبد الرحمن المطرودي على الحزبية ما تسببه من شر في تقسيمها للبيت وإثارة الضغائن ، وهجوم جائر على منهج السلف الصالح في حين تزعم كل جماعة أنها تحتكر المنهج الصحيح فتنغلق على ذاتها، وتقدس زعماءها وتشتد في مواجهة مخالفيها إلى حد اتهامهم بالكفر.

يحاول الدكتور جمال الدين محمد النظر إلى مشروعية الجماعات الإسلامية المعاصرة كمن خلال مراعاة ظروف نشأتها في تاريخ الفكر الإسلامي، ومن خلال فهم الواقع المعاصر في البلاد الإسلامية بعد تنبيه إلى أن جماعة المسلمين الواحدة والسواد الأعظم والجمهور الأكبر، وهم أهل السنة والجماعة بقيت واحدة ولا تتعدد ولا يعرف لها اسم يميزها إلا السنة والجماعة ، فتمييز هذه الجماعة يعتمد على استبعاد غيرها عنها ونفيه عنها . فهو لا يرى مانعا من أن يكون لجماعة من الناس رأي في كيفية إصلاح أمور الحياة الدنيوية . ما دامت هذه الجماعة داخل جماعة المسلمين في عقيدتهم وشريعتهم وسلوكهم وتحت سلطانهم وفي طاعة ولي الأمر فيهم وغاياتهم التي يجتمعون عليها هي: النصح لله ولرسوله ولولاة الأمور ولعامة الناس في ما يتعلق بشأن من شؤون المجتمع بالتعليم والصحة أو الزراعة أو الصناعة أو غير ذلك من أمور المجتمع أما الشيخ أبو الكلام يوسف فهو ليس من دعاة الحظر ولا الإباحة بإطلاق كما يقول، وإنما يتبع الحكم في تقديره حالة كل بلد ففي بلدان التي تحكمها القوانين الوضعية العلمانية ، لابد من وجود جماعة مسلمة تدعو الناس للعودة إلي دينهم وتبين لهم محاسنه ، وتتدخل في البرامج السياسية للدولة بصورة رسمية حتى تتمكن من إقامة دولة إسلامية تطبق شرع الله جل وعلا بتأييد من الشعب.

ولما أدرك أهل الزيغ والشطط أن الأمة تناوئهم لاستباحتهم دماء مسلمين يؤمنون بالإسلام عقيدة وشريعة ويلتزمون اعتقادا وقولا وفعلا ، عمدوا إلى تكفير من يخاصمهم بل ومن يخاصمونهم دون أن تبدر منهم إمارة اعتراض على ضلالهم ، فبدلا من أن يتوبوا إلى اله تعالى من استحلال الدم المعصوم ، ازدادوا بغيا فأخذوا يوزعون الاتهامات بالكفر والنفاق على الآخرين بمنتهى السهولة؟

أما كيفية التصدي لدعوات التكفير والخروج المسلح على الحاكم المسلم ، فإن الشيخ محمد العثيمين يرى أن التصدي لها هو بيان الحق في هذا الأمر ونشر العلم وأن يبين خطر التكفير وأنه ليس بالأمر الهين، فليس كلمة تجري على اللسان بل تترتب عليها أمور كثيرة وشرور عظيمة! وينصح فضيلته الشباب أن لا يكون أكبر همهم وأكثر خوضهم الكلام في تكفير الحكام وغير الحكام بل الواجب عليهم أن يجتهدوا في عبادة الله سبحانه وتعالى وفي معاملة الناس على الوجه المرضي ، ويرى الدكتور صالح الفوزان وجوب كشف عوار الذين يعملون على التزهيد في منهج السلف وكتبهم ، فيصفونها بالجفاف ويسعون إلى منع تدريسها في الكليات والمدارس ليخلوا الجو لهم ولأفكارهم المنحرفة المشتملة على التهييج والتهريج!

أما التأثيرات السلبية لتيارات العنف على مستقبل الصحوة الإسلامية فيرى الدكتور علي إبراهيم النملة أنه لو لم يكن لمسلك الغلاة من نتيجة سوى استعداء الساسة على الصحوة الإسلامية لكفاهم شرا وسوء منقلب!

ويحذر الدكتور محمد شوق من أن دائرة العنف التي تضع كل الإسلاميين هدفا للأذى تثير مناخا من الرعب لا يشجع الجمهور على الاستجابة إلى الدعوة مهما كانت صادقة وسليمة في الغاية و الوسيلة .

ويشير الشيخ فيصل مولوي أن العنف باسم الإسلام ستكون له أخطاره الوخيمة على مستقبل الصحوة الإسلامية. فهوسيوهم الناس بأن الإسلام يجبر الآخرين على اعتناقه بالقوة والإكراه

ويبدي الدكتور بريغش تشاؤمه حيال هذه المسالة إذا أنها إذا استمرت على حد قوله . ستؤدي إلى تنازل الناس عن دينها وعن رغبتها في الاحتكام إلى شرع ربها.

هذه حصيلة ندوة لمركز البحوث والدراسات حول نشؤء تيارات العنف المنتسبة إلى الإسلام في زماننا ، وما صلتها بتيارات الغلو القديمة وكذلك البحث عن أسباب نشأة فتنة التكفير والتعرف على حصادها المر.

وختاما فالاعتدال أنجع سبيل لمواجهة الغلو الديني والتطرف الاستئصالي ، فعلماء المغرب هم كذلك يستنكرون التفجيرات الإجرامية ويؤكدون أن الاعتداءات الإرهابية التي استهدفت مدينة الدار البيضاء عصيان لله ولرسوله وشق لعصا الطاعة وخروج عن ميثاق الجماعة فيجب ترشيد مسار الصحوة الإسلامية وتحصينها من تيارات الغلو في الدين.

المرابطة في الزمان والمكان...(اقتراحات للعمل) (3/3)

■ إعداد الأستاذ: عبد الله اكديرة

■ ثانيا . في المكان: لا أعني بالمرابطة في المكان إلا أن يلزم الخطيب والواعظ مسجده.. وأن يعلم بوضوح مهمته وأهدافها ووسائلها في هذا المسجد.. وفي كل مسجد يعمل به.. وأن يكون على بينة تامة من دروسه ومواعظه ودروسه العلمية... بل من كل منها على حدة.. وأن تكون لديه قدرات ومهارات للاتصال بالرواد الذين يفدون على مسجده على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم وثقافاتهم وأعمارهم.. إنها ليست مجرد وعظ بارد.. أو معلومات تلقى.. كما أو كيفا.. إنها علاقة إنسانية بكل ما للكلمة من معنى.. إنها محو أميتهم الأبجدية والوظيفية والثقافية والحضارية... إنها الرفع من مستوى التفكير.. إنها السمو بشخصياتهم بكل مكوناتها.. إنها تحسين فهمهم.. إنها تعويدهم على حل قضاياهم ومشاكل حياتهم.. إنها توصيل المعلومة إليهم بطريقة تجعلهم ينظرون إلى أمورهم نظرة تؤدي إلى استفادتهم في الاستجابة إليها بما تعلموه في الماضي ومايدرسونه في الحاضر.. ليبدعوا في المستقبل أحرارا في اختيارهم مايرونه.. مستمدين آراءهم وأفكارهم من كتاب الله وسنة رسوله.. يراقبون الله في سرائرهم وظواهرهم.

والخطيب يربط ارتباطه المستمر بمسجده ومرابطته الدائمة فيه حسا ومعنى بمرابطته الزمنية بمهمته.. فلا تضيع منه لحظة يغتنمها للتعلم من أجل التعليم.. مراعيا حجم الخطبة والدرس والموعظة.. لأنه ليس ذلك الإنسان الذي يأتي إلى مسجد معين في وقت معين ليؤدي واجبا دينيا ثم يعود إلى أهله وداره.. وقد أدى واجبه عند نفسه... ولا هو مجرد مرتزق يعمل لمكسب مادي أو معنوي أو هما معا.. إنه مسؤول عن رواد المساجد التي يعمد بها.. ويزرع فيهم الشعور بالأمانة المكلفين بها نحو الله والوطن والناس بكل إخلاص باعتبارها عبادة لله... إنه إنسان مرتبط بمسجده زمانا ومكانا.. مرابط فيه بعقله وقلبه حتى ولو لم يكن موجودا فيه بجسمه إنه إنسان حي.. يدعو الناس إلى الحياة بما يحيي.. إنه إنسان متفائل يعيش مع الناس بينهم في تواصل مستمر زمانا ومكانا داخل المسجد وخارجه إن ارتباطه ومرابطته المكانية بمسجده أن يجعل من عمله فيه بوعظه ودروسه شغله الشاغل، بأن يجعله كما يجب أن يكون، وكما كان ماضيا مصدر إشعاع على محيطه، يحرص على جماله ونظافته وإنارته، وتوفر جميع إمكانات الجذب والجلب وإستمرارها لدى جميع ساكنة الحي ومرتادي المسجد من الأحياء الأخرى القريبة والبعيدة.. وأن يبذل جهودا كبرى لتوفير تلك الإمكانات من الجهات الرسمية والخواص.. وأن يجند لذلك رواد المسجد من الشباب وغيرهم ليتطوعوا بمساعدته.. باعتبار أن نداء المرابطة يعم كل المؤمنين زمانا كلما سمح الوقت.. ومكانا بجعل المسجد تلك المؤسسة الاجتماعية الإنسانية التربوية التعليمية التي يعم نفعها كل الناس وعلى جميع الأصعدة..

فليس الواعظ المدرس والخطيب المبلغ مجرد ذلك العالم الذي يلقي درسه أو خطبته في زمان معين مخصص له ثم ينصرف مرتاحا مطمئنا إلى أنه قد أدى واجبه.. إنه ذلك الإنسان الذي يفعل كل ذلك مع الاهتمام الموصول لديه بترقية مشاعر رواد مسجده، وتنمية محيطه.. يغرس في الناس الحيوية والتفاؤل والجد والإخلاص والإقبال على العلم وأنماط السلوك الإيجابية نحو جميع الناس، بالمبادرة إلى خدمتهم بدره ما يضرهم عنهم، وجلب ماينفعهم إليهم في حماس، وأن يغرس لديهم جميعا عادات النظافة والطهارة ظاهرا وباطنا في القلب والبدن والسكن والمحيط... وأن يعودهم أيضا النظام والتزام العمل بأحكام القوانين والأعراف المتفق عليها وكذلك أحكام المعاملات الشرعية التي تنفع الناس في معادهم ومعادهم.. مع العمل على إكسابهم العادات والمهارات التي تجعلهم يبادرون تلقائيا في عزم وجزم وحزم في كل الأنشطة الاجتماعية والنسائية إلى المساهمة التعاونية ذات الأهداف الإنسانية النبيلة الخالية من الغرض النفعي الفردي الضيق الأثر الأناني الرخيص بتغذية مشاعر التعاون والعمل الجماعي والثقة والمحبة بين كل ساكنة محيط المسجد.. وأن يتقبل مقترحات الناس وانتقاماتهم، وأن يواصل نقده الذاتي لنفسه وعمله لتطهير نفسه وتطوير عمله...

المسجد هو مكان عمله كمركز للنشاط، ولكن هذا النشاط يتسع ليشمل كل محيط المسجد، يتصل به، ويعمل على الاستمرار متأثرا والإمداد مؤثرا.. في ارتباط وثيق بثقافة المحيط وحضارته.. وأحكام دينه وعقائده وشعائره وشرائعه.

المسجد مدرسة مفتوحة للجميع تعلم وتربي وتبني النفوس والعقول.. وكيف يتم ذلك عمليا؟ هذا ما سأعمل على توضيحه في ومضات مركزة قدر الإمكان، والغاية هي تحقيق معنى المرابطة من الخطيب والواعظ المدرس في مسجده مكانا:

. أن يعمل على معرفة رواد مسجده قدر الإمكان.. لا معرفة شخصية حميمة لكل فرد منهم... وإنما أن يحقق دراسة ميدانية يعرف بها أو ضاعهم ومشاكلهم وأحوالهم وتطلعاتهم ومستوياتهم الاجتماعية الغالبة، وأن يسجل المتغير منها والمتطور والمستقر... أي أن يدرس واقع المحيط الذي يعمل فيه ليكون على وعي به..

. أن تكون مواضيعه في دروسه وخطبه مستمدة من دراسته لهذا الواقع، ليزكي إيجابياته، ويحث على التقليل من سلبياته، في دروسه وخطبه، بجعلها وسائل توعية مخططة بتلك الإيجابيات والسلبيات.. مع اقتراح أنشطة واضحة يساهم الجميع فيها على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم في حب وولاء وود وتعاون لصالح الجميع من خلال مشاريع متفق عليها عن اقتناع..

. أن تكون دروسه منظمة مترابطة متدرجة، لاينسي آخرها أولها، تقدم معلومات قابلة للتنفيذ لدى الفرد في حياته الخاصة، ولدى الجماعة في تلاحم مكوناتها، في اتزان ونكران ذات بعيدا عن كل أثرة أو أنانية أو تعصب لفئة على أخرى،

. أن يعمل على تكليف بعض القادرين من المواظبين على إعداد ملخصات مركزة عن كل درس أو خطبة للتذكير به عند بدء الدرس أو الخطبة التاليين، مع التركيز على ماحث عليه في درسه أو خطبته من مقترحات التطبيق فرديا أو جماعيا والإلحاح على معرفة ما تم منه زمانا ومكانا على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد...لتستمر المرابطة زمانا ومكانا...

. أن يركز خلال كل درس أو خطبة على توضيح أهدافها السلوكية المتوخاة منها من بدئها إلى انتهائها... مع ربطها باقتراح أنشطة فردية وجماعية قابلة للتنفيذ .

. أن يكلف القادرين من حاضري دروسه أو خطبه ممن يأنس لديهم الرغبة بأن يعدوا خططا مركزة لتنفيذ المشاريع المقترحة خلال الدرس أو الخطبة مع مطالبتهم بمتابعة تقويم تحققها في أنفسهم ولدى بعض الأفراد من إخوانهم، وكذلك في محيط المسجد... جزئيا أو كليا...

. أن يصوغ دروسه وخطبه صياغة مركزة بسيطة واضحة في لغة سليمة مستمدا مواضيعها من محيط المسجد، مستجيبا لاقتراحات رواده، مصوغة في أسلوب مشوق.. ولابأس بأن يبدأ كل فكرة بسؤال ينبه به الغافل ويحث به المنتبه على التفكير في الإجابة ثم يقدم الإجابة المناسبة مدعومة بالأمثلة من الواقع، تقويها النصوص المستشهد بها من الكتاب والسنة وأقوال صالحي السلف والخلف..

. عدم حشو أذهان رواد المسجد في الدروس والخطب بمعلومات متراكمة، بل يراعي اختلاف قدراتهم وتفاوتها ذكاء وعلما وسنا وخبرة... مع مراعاة عدم التطويل عليهم مراعاة لاستمرار اهتمامهم وانتباههم وحرصا على عدم مضايقتهم وانصرافهم عن الدروس والخطب موقتا أو على الدوام... فلا تتعدى الخطبة إن طالت عشرين دقيقة... ولا يتعدى الدرس إن طال الثلاثين دقيقة

. أن يشرح صدره لتلقي أسئلة المتلقين وملاحظاتهم وتعليقاتهم مع تعويدهم على أدب السؤال في كيفية إلقائه ووقته ومناسبته للموضوع محور الاهتمام في الدرس والخطبة...

. ألا يتردد في الإعلان بكل صراحة وشجاعة عن عدم معرفته للجواب الفوري عن سؤال يلقى عليه، ويطلب مهلة للبحث ويحدد موعدا لا يخلفه للإجابة عنه علنا أو بينه وبين السائل حسب نوع السؤال وطبيعة الجواب الذي يقتضيه...

. إذا تلقى أسئلة كتابية فله أن يجيب عنها بنفس الطريقة ولابأس من أن يعلن الإجابة للجميع بدون تعيين السائل...

. لابأس من تشجيع بعض طلبة العلم من الحاضرين على أن يتولوا الإجابة إذا آنس منهم القدرة والرغبة في ذلك... فورا أو بعد بحث.. على ألا تعتبر الإجابة منه أو ممن يكلفه فتوى ملزمة وإنما هو رأي يستأنس به.. إن كان السؤال دقيقا يتطلب فتوى ممن أهلوالها... وكلفوا بها من أولي الأمر..

. لابأس من جعل سؤال يلقى شفويا أو كتابيا موضوع درس أو خطبة..

. دعوة من يقرأ إلى مطالعة كتب معينة في موضوع الدرس أو الخطبة حسب مستواه العلمي والمادي.. فأرشده إلى الكتاب الذي يناسبه، ويعيره أو يهديه إياه إن أمكن...

. لابأس من استعمال الوسائل المعينة في الدروس من شفافات وسبورة وصور توضيحية وبيانات وإحصاءات...الخ لزيادة الفهم والتوضيح...

. ولابأس أيضا من توزيع خلاصات للدروس قبل أو بعد الدرس حسب مايراه مفيدا على أن تكون واضحة حسنة العرض مسبوكة الصياغة مرتبطة بالموضوع ارتباطا وثيقا وتحتوي على ما يثري الموضوع ويزيده بيانا...

. لابد من إعداد الموضوع (الدرس والخطبة) قبل الالقاء في تحضير جيد واف حسن التصميم.. مختصر لايخل ومفصل لايمل.

. يطور عمله باستمرار بملاحظة مايطرأ على رواد مسجده من تطور أو تغير... ولا يعد درسا بعينه أو خطبة بنصها.. بل يدخل عليها. إن كان لابد من إعادتها . ماينا سب من تعديل حسب الزمان والمكان

. عدم التغيب بدون عذر مقبول مسبقا... وحبذا لو وعد رواد مسجده بأن درسه الذي اضطر للتغيب عن موعده سيكون هو نفسه موضوع الحصة المقبلة، أو يخصص له موعدا خاصا في غير الحصص المعتادة... أما التغيب عن خطبة الجمعة فغير مقبول إلا لعذر قاهر، والأفضل إخبار المسؤول في النظار ليعين نائبا عنه... وحبذا لو يتصل به لينسق معه في الموضوع الذي يلقيه ليناسب مايتدرج به مع رواد مسجده شكلا ومضمونا... ومن الأفضل لعمله أن يكون له برنامج مقرر ينفذه خلال سنة أو دورة حسب حصص عمله، ووحدات دروسه، ليقوم نتائجه بعد إنهائه.

. ومن لايأنس من نفسه القدرة على أن يسير على هذا المنوال في دروسه وخطبه، فلا بأس من أن يستعين ويسترشد بزملاء له ليوجهوه إلى ما هو أرشد له في علمه وعمله... ولايتردد في ذلك أو يستحيي أو يتلوم... فالمرابط بالمعنى الذي ذكرناه زمانا ومكانا يبتغي التقرب إلى الله وهدفه نفع عيال الله ليكون أحب إلى الله... ليست غايته مالا يصيبه أوجاه يدركه أو سمعة يحققها... غايته رضاه عن الله ورضى الله عنه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وصلى الله عليه وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1039
السنة 36
الجمعة 27 شعبان 1424 هـ
الموافق 24 اكتوبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق
الرابطة

العدد: 1039 الجمعة 27 شعبان 1424 هـ .الموافق 24 اكتوبر 2003م

معلمة المغرب (1/2)

الإسلام في المغرب

■ إعداد الأستاذ:المرحوم عبد الله كنون

■ المراد بالاسلام في المغرب الكلام على حياته وقيامه في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي المسمى بالمغرب الأقصى لبعده عن بلاد المشرق ، موطن تنزل الإسلام، ومبعث نبيه عليه السلام.

وقد دخل الإسلام رسميا إلى المغرب ، مع عقبة بن نافع عام 62 للهجرة عندما ولاه يزيد بن معاوية على الشمال الإفريقي الذي كان قد فتح من قبل ، وهي ولا يته الثانية التي بنى فيها مدينة القيروان ، وجعلها عاصمة المغرب الكبير، ومنها زحف إلى المغرب ، ومضى يحتل مواقعه الواحد بعد الأخر، من طنجة إلى سوس ، واستنزل كبراءه وزعماءه على طاعته والدخول في دولة الخلافة الإسلامية تبعية وحكما... وهذا لا يعني أن المغرب لم يعرف الإسلام إلا في هذا التاريخ ، فمن غير المعقول أن يصل الفاتحون الأولون إلى المغرب الأدنى ثم إلى المغرب الأوسط أعني تونس والجزائر في خلافة عثمان (رضي الله عنه) ، وولاية عمرو بن العاص على مصر ، ولا يكون لذلك صدى في المغرب الأقصى ولاهتمام بهذا الحدث الكبير وتطلع إلى ما أتى به أولئك الفاتحون من ملة ودين ، ورغبة في اعتناقه واستعداده لقبوله .. وفعلا فقد جاء في كتاب الجمان في أخبار الزمان للشطيبي أن نفرا من البربر قدموا على عمر (رضي الله عنه) بالمدينة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص فسألهم من هم وما الذي جاء بهم؟ فقالوا نحن أبناء مازيغ وهو الاسم الذي يعرف البربر به أنفسهم ، وجئنا رغبة في الإسلام الدين الحق الذي أوصانا به آباؤنا وأجدادنا ، فعجب عمر منهم ، والحكايات من هذا القبيل تدور على الألسنة كثيرا ، والشطيبي ما سجل إلا ما سمع أو رأى في بعض المراجع التي لم تصلنا.

وبعد أن أنهى عقبة فتح المغرب عطف على ساحل البحر المحيط ، وفي مدينة آسفي وقف وقفة تأمل بشاطئها وأدخل قوائم فرسه في الماء ، وقال : « اللهم أشهد أني بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت أقاتل في سبيلك حتى لا يعبد في الأرض سواك».

وكان سكان المغرب آنذاك ليسوا على دين ، إلا القليل منهم كانوا على المجوسية، وما يزعمه بعض المؤرخين الأجانب من أنهم كانوا على المسيحية لم يصح ونعني بالمغرب هنا المغرب الأقصى . ويمكن أن يقال إنه كان لليهود وجود في المغرب ، وخاصة في بعض القبائل التي يأتي ذمها في الشعر بأصلها اليهودي. نعم كان يوليان الغماري والي سبتة وطنجة مسيحيا ولكنه خضع لعقبة وأظهر الطاعة للحكم الإسلامي وبه انتهت السيطرة المسيحية على المغرب التي كان يوليان يستمدها من ملوك القوط الإسبانيين.

وبعد عقبة توالى على تدبير شؤون المغرب العربي ولاة متعددون طوال العهد الأموي ثم من العهد العباسي إلى أيام هارون الرشيد ، والإسلام يهيمن على البلاد ، ومدينة القيروان التي بناها عقبة هي العاصمة التي يستقر بها الولاة العاملون ويبعثون منها نوابا عنهم وقوادا يشرفون على الحكم والإدارة وحفظ الأمن ، ولكن هذا لم يمنع من ظهور بعض الحركات المناوئة للنظام العام كالشيعة والخوارج وهما من المذاهب السياسية من المشرق ، إذ كان للخوارج والشيعة هناك تنظيمات قوية، طالما واجهوا بها الخلافتين الأموية والعباسية ونشبت بينهما وبين الدولة حروب ومصادمات كان أتباعها يتسربون إلى المغرب عند انهزامهم محاولين بذلك إيجاد أنصار وإقامة عصبية مغربية يستندون إليها في توثباتهم على الخلفاء ، وقد بلغ الأمر إلى تأسيس دولة خارجية صفرية بسجلماسة وهي دولة بني مدرار التي استمرت إلى أوائل القرن الرابع ، حين قيام دولة الفاطميين الشيعية ، وإلى هذه النحل التي ينتمي أهلها إلى الإسلام ، كانت تظهر بعض المذاهب الضالة المناهضة للدعوة الإسلامية من الأساس كالبرغواطية ، وهي دين انتحله صالح بن طريف الذي ادعى النبوة بتامسنا من المغرب الأقصى على ساحل المحيط فيما بين سلا وآسفي وبرغواطة بطن من المصامدة، وكان صالح هذا من أهل العلم والخير كما قال ابن خلدون:" ثم انسلخ من آيات الله وشرع لأتباعه الديانة التي عرفت به، وهي تشتمل على مخروقات تضاد تعاليم الإسلام وتمسخ تشريعاته من صلاة وصيام وغيرهما ووضع لهم قرآنا زعم أنه وحي نزل عليه وقال إنه صالح المؤمنين المذكور في القرآن" (207/6) واستمرت هذه الضلالة منتشرة في المغرب إلى قيام الدولة الإدريسية التي قاتلت أصحابها ولم تنقرض إلا في أيام المرابطين الذين قضوا عليها نهائيا.

ولعل هذه البدع والضلالات هي التي عني بهما ابن أبي زيد القيرواني بمقولته الشهيرة:" ارتد البربر اثنتي عشر مرة من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك ، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الردة" وما ينبغي أن يحمل عليه هذا الكلام هو الردة الجهوية والجزئية التي لم تعم البلاد كلها، وأنها لا تختص بالمغرب الأقصى ، لاسيما وان ابن أبي زيد كان من أهل القيروان فهو إنما يتحدث عن إقليمه وجوار مدينته ، ثم إن ذلك كان قبل ولاية عمر ابن عبد العزيز للخلافة، لأننا نجده قد بعث للمغرب عشرة من فقهاء التابعين لتعليم المغاربة وتفقيههم في دينهم حين بلغه صدى هذا الارتداد مع ما يعلم من أن الولاة مشتغلون بتأمين البلاد وتوطيد أركان الدولة ، فربما كانت هناك نواح لم تصلها الدعوة ولم تتفهم رسالة الإسلام ، فمن السهل على أهلها أن يراجعوا جاهليتهم ويتمسكوا بمظاهر الوثنية التي كانوا عليها ، ويؤيد ذلك قوله إنه لما عبر موسى بن نصيرالبحر إلى الأندلس استقر الإسلام بالمغرب وتناسوا الردة. وإذا كان هذا في المغرب الذي هو أقصى نقطة في هذه الأرض المفتوحة فبالأحرى أن يكون المغرب الأدنى والأوسط قد استقر الإسلام فيهما قبل ذلك.

ونحن نعلم أن حملة طارق بن زياد مولى ابن نصير على الأندلس كانت تتكون من اثنى عشر ألف مقاتل أغلبيتهم من المغاربة ، ولم يكن بينها وبين فتح المغرب الأقصى إلا نحو ثلاثين سنة ، وهي مدة قليلة بالنظر إلى استقطاب هذا العدد الكبير من المسلمين المغاربة الذين فتحوا الأندلس ومكنوا فيها الإسلام مما يجعلنا نعتقد أن الإسلام توطد في المغرب بعد فتح عقبة وصار هو الدين الغالب على أهله، ولاسيما مع ما قدمناه من أن المغاربة لم يكونوا في غيبة عن زحف الإسلام على المغربين المجاورين الأوسط والأدنى ولا بد أن الكثيرين منهم دخلوا فيه تلقائيا بحكم الاحتكاك القبلي والجوار.

نخلص من هذا إلى أن الإسلام غطى الشمال الإفريقي بجميع أقطاره حتى آخر نقطة فيه بسوس، في القرن الأول الهجري ، فماذا عن المذهب الذي كان متبعا من أهله؟

جاء في الاستقصا (60:1) كان المغاربة في صدر الإسلام على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم وهو المذهب الحق ... وهذا طبيعي إذ لم تتقرر المذاهب المعروفة حينذاك ولا كان هناك أتباع لغير بعض النزاعات السياسية من شيعية وخروج على ما ألمعنا إليه سابقا . وفي أيام الخلافة العباسية أخذ المغاربة بمذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم إمامهم ، واستشهد الناصري بقول القاضي عياض في المدارك:" ظهر مذهب أبي حنيفة بإفريقية (تونس وما والاها) ظهورا كثيرا إلى قرب أربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس والأندلس، وكذا ظهر بالأندلس مذهب الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، وكان ذلك عند قيام الخلافة الأموية بها ، ولاشك أنه تسرب أيضا إلى المغرب، ثم تحول الأندلسيون والمغاربة إلى مذهب الإمام مالك أولا على يد بعض الفقهاء من أتباعه كأسد بن الفرات وسحنون من الأفارقة وزياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون الذي كان أول من أدخل كتاب الموطأ إلى المغرب والأندلس وأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي الطنجي إلا أبوابا، منه فرحل إلى المدينة وسمعه كاملا من الإمام مالك ورجع وحدث به الناس ، وكان بمنزلة كريمة عند السلطان فكان يستشيره في ولاة القضاء فيشير عليه بالقضاء من تلامذته وأتباع المذهب المالكي فتوطد هذا المذهب حينئذ في الأندلس واختفى ما سواه.

أما في المغرب الأقصى فعند قيام الدولة الإدريسية به وبناء إدريس الثاني لمدينة فاس وتنظيمه لمصالح الدولة، كان يعين في مناصبها فقهاء من أتباع المذهب المالكي في الوزارة والقضاء وغيرهما، وكان الأدارسة في أصلهم من الحجاز ، ومالك هو فقيه الحجاز وعالم المدينة ، وناصر الدعوة العلوية على الدولة العباسية ، وبسبب هذه المناصرة امتحن وضرب من أجل قوله بأن طلاق المكره لا يجوز، وهو يعني بذلك أن البيعة بالإكراه باطلة وهي التي قامت عليها الخلافة العباسية أولا ، فكانت هذه الدواعي مجتمعة باعثة على انتشار المذهب المالكي بالمغرب واعتماد الدولة له وقطع النظر عن غيره.

واستمر الأمر على هذا الاتجاه في الأصول والفروع إلى قيام الدولة الموحدية التي أنشأها المهدي بن تومرت في القرن السادس الهجري ، وكان قد رحل في طلب العلم إلى المشرق ووافق انتشار المذهب الأشعري في العقيدة واعتناق أئمة من أهل العلم له والدفاع عنه كالغزالي والطرطوشي وابن فورك وتلك الطبقة، فتلقاه عن أهله وتمذهب به ، وعاد إلى المغرب ولما أنشأ دولته كان قد اتخذ شعارا لها الطعن في دولة المرابطين ووصفهم بالتجسيم إذ كانوا على مذهب السلف من عدم تأويل المتشابه من النصوص القرآنية والحديثية كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول وما إلى ذلك ، فيعتقدون اتصاف الباري بها ويفوضون في كيفيتها كما قال الإمام مالك لما سئل عن استواء الله على العرش كيف هو فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة. أما الأشاعرة فكانوا يقولون إن المراد بالوجه الذات وباليد القدرة وبالعين البصر وما إلى ذلك ، فيؤولون والتأويل عند السلف مرفوض لأنه يخرج النصوص عن مدلولها ، وكان يسمي أصحابه بالموحدين ويسمي المرابطين بالمجسمين ويكفرهم لذلك ، وحين تمت السيطرة للموحدين على المغرب حملوا الناس بالقوة على المذهب الأشعري وقربوا من التزمه ودعا إليه، فتحول المغرب حينئذ إلى هذا المذهب.

كما حاول الموحدون أن يحملوا الناس على الأخذ بمذهب أهل الحديث والإعراض عن مذهب مالك وأحرقوا كتب المالكية واعتسفوا في ذلك اعتسافا كبيرا (المعجب للمراكشي) ولكن هذا الأمر لم يتم ، إذ رجع الناس إلى مذهب مالك ولاسيما عند قيام الدولة المرينية ، وعادت كتب المذهب إلى الانتشار والتأليف فيه والاقتصار على دراسته في جامعة القرويين وغيرها إلى وقتنا هذا .

أما العقيدة الأشعرية فقد وقع التمسك بها والتأليف فيها من المغاربة ودراستها في المعاهد الدينية . وإن كان السلطان محمد بن عبد الله العلوي جنح إلى عقيدة السلف وكان يؤيدها ويدعو للرجوع إليها ، وفي تآليفه كان يصف نفسه بالحنبلي عقيدة المالكي مذهبا ،ولكن من أتى بعده من ملوك العلويين لم يأخذوا برأيه هذا وبقي الأمر على ما كان قبل وبعد.